وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

الأبعاد الفكرية و الفنية
في قصيدة "لامية العجم"
للطغرائي (مؤيد الدين أبو اسماعيل)

إعداد الطالبة:

نعيمة اعبيد

إشراف الدكتور :

جمال مباركي

السنة الجامعية: 1433 هـ/ 1434 هـ

2012 م / 2013م

بسم الله الرحمن الرحيم

" قُلِ اللَّهُمَ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"

[آل عمران:الآية 26]

شكر وعرفان

الحمد والشكر لله أولا وآخرا ،له الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه،والصلاة والسلام على سيد العرب والعجم ؛المبعوث إلى جميع الأمم محمد "صلى الله عليه وسلم ".وبعد:

أتقدم بوافر شكري وعظيم امتناني،إلى من أسهم بوقته وعلمه في مواكبة السير الحسن لهذا البحث وأخص بالذكر الأستاذ المشرف الدكتور: جمال مباركي ؛الذي أنار لي طريق البحث عن المعرفة بأفكاره السديدة وملاحظاته القيمة ،فجزاه الله خير الجزاء لعمله على خدمة اللغة العربية وإخراجها من الظلمات إلى النور .

كما أتوجه بالشكر إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا البحث .

والحمد لله رب العالمين.

مقدمـــــــة

تمر في حياة كل أمة فترات معينة، ينشط فيها الفكر و تبدع الأذهان فتقدم خير ما عندها من فكر وعلم وأدب وفن، فكانت القصيدة قرية صغيرة عكست أبعادا فكرية و رؤى جمالية وفنية، وخاضت نضالات ومعارك، كان فيها الشعراء بمثابة الكشافين الرائدون في دولة الروح، تاركين وراءهم بصمات خالدة على مر العصور، نظموا مجموعة متميزة من القصائد، سميت بلاميات الأمم (*)، أفرغوا فيها كل أفكارهم ومعانيهم، وعواطفهم وأحاسيسهم، منهم من جعلها تمجيدا لذاته، ومنهم من جعلها تمجيدا لقبيلته أو قومه، جاعلا من الحكمة أسمى مبادئها، وأجل معانيها؛ التي استقاها من تجاربه الفذة في الحياة، من خلاصات الرأي، والفكر السديد.

فكانت "لامية العجم" من أثمن القصائد التي تداولتها الرواة وتناقلتها الألسن، اكتست تأثيرها من حكمتها، وتجربتها الصادقة؛ الصادرة عن رجل عاصر التقلبات السياسية، فحرم من المجد الذي يطمح إليه، وسعة العيش التي يبتغيها، ورغم ذلك فإنه لم يعدم رؤية الضوء في نهاية النفق، بل علل نفسه بالتفاؤل والأمل. وهو الفلك الذي تدور في محوره الأساسي فكرة الشاعر المبدع، الذي نقلها إلى أمته بأنماط جميلة.

وهذا ما دفعنا إلى اختيار هذه القصيدة التي تذكرها أمهات الكتب، لكن شاعرها ظل مغمورا و غير متناول بالدراسة، فجاء بحثنا الموسوم ب: الأبعاد الفكرية و الفنية في "لامية العجم" للطغرائي. مما جعلنا نطرح التساؤلات الآتية:

ما العلاقة التي تربط الأدب بالفن و الفكر؟

وماهي المضامين الفكرية التي احتوت عليها القصيدة فجعلتها نصا هادفا؟

(*)بعض اللاميات: لامية العرب، لامية العجم، لامية اليهود، اللامية الأموية.

وما الأبعاد الفنية التي تضمنتها القصيدة فجعلتها ذات رؤى جمالية مؤثرة في المتلقي؟

ولأن الدراسة تقتضي منهجا، فإن المنهج الوصفي كان الأنسب للفصل الأول من البحث، في حين كان المنهج الفني هو الأنسب للفصل الثاني لدراسة اللغة الشعرية، والصورة الفنية وغيرهما من عناصر الفصل. ذلك أن القصيدة هي التي اختارت منهجها الذي تنوع بتنوع ظواهرها وموضوعاتها.

وقد ارتأينا هندسة الدراسة بخطة ترسم هيكل البحث:

أولا: مقدمة.ثم تمهيد بعنوان: علاقة الأدب بالفن و الفكر، حيث تطرقنا فيه إلى مفهوم الأدب وتطور معناه عبر العصور، ثم مفهوم الفن و الفكر، لتجتمع بذلك العلاقة التكاملية بين العناصر الثلاثة.

أما الفصل الأول فكان بعنوان: الأبعاد الفكرية في "لامية العجم" للطغرائي، اندرجت ضمنه أربعة عناصر، كان في بدايتها البعد الأخلاقي، فالبعد الاجتماعي، ثم الاغتراب في القصيدة، وأخيرا الإرادة والشجاعة.

وأما الفصل الثاني فكان بعنوان: الأبعاد الفنية في "لامية العجم" للطغرائي، اشتمل على خمسة عناصر:

أولا: اللغة الشعرية.

ثانيا: الصورة الفنية؛ بموضوعاتها ومصادرها، وتنوع أنماطها.

ثالثا: الرمز الفني.

رابعا: التناص.

خامسا:الموسيقى الشعرية، التي انقسمت إلى قسمين: الموسيقى الخارجية وهي الأوزان والقوافي، و الموسيقى الداخلية وهي الإيقاع.

لينتهي البحث بخاتمة لأهم النتائج المتوصل إليها بعد الخوض في حيثيات هذا البحث. ثم ملحق بنبذة عن حياة الشاعر، فقائمة المصادر والمراجع، ثم فهرس الموضوعات.

ولضمان السير الحسن لهذه الدراسة، كان لابد لنا أن نعتمد على مجموعة من المصادر و المراجع، كان أهمها:

- ديوان الطغرائي.

-الحياة العربية خلال الشعر الجاهلي لأحمد محمد الحوفي.

-جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب للسيد أحمد الهاشمي.

-الأدب في عصر العباسيين لمحمد زغلول سلام.

-الصورة البدوية في الشعر العباسي لضياء عبد الرزاق العاني.

إنه لا يخلو أي بحث من صعوبات تواجهه، ونحن باعتبارنا باحثين —مبتدئين-لابد لنا من التصدي لهذه الصعوبات، والتي تمثلت عموما في: قلة المراجع التي تحتوي على القصيدة وشرحها، رغم ذكر المصادر القديمة للشاعر والقصيدة، إلا أنه لم تخصص لها مساحات-ولو قليلة-من الدراسات و الأبحاث.

ليست هذه الدراسة إلا إضاءات صغيرة تفتح نوافذ أمام دراسات أعمق وأشمل، يقوم بها محبو الأدب والنقد، وعشاق القصائد التي حملت أفكار قوم ومشاعرهم، ومآثرهم على مر الأزمان.

وأخيرا نتقدم بالشكر والامتنان للأستاذ المشرف على البحث الدكتور: جمال مباركي لما بذله من مساعدات فعالة، ونصائح وتوجيهات سديدة، فله أسمى معاني التقدير والاحترام.

وفي الأخير نرجو أن نكون قد وفقنا في هذا البحث الذي سنقدمه لقرائنا الكرام، سائلين الله عز وجل أن يكتب به الفائدة والنفع لطلاب العلم، وإن كان هذا إلا مبتغانا، فجعل الله نتاجنا على قدر هذا المبتغى.

تمهيد : علاقة الأدب بالفن والفكر

يمثل الاهتمام بالأدب محورا رئيسا من محاور اهتمامات الباحثين والدارسين لأن دراسة الأدب تعددراسة لجانب هام من جوانب الإنسان. وانطلاقامن ذلك لابد – لنا في البداية – من التوقف عند لفظة "أدب" ،لبيان مدلولها اللغوي وتطوره عبر العصور ،فقد جاء في لسان العرب: "الأدب هو الذي يتأدببه الأديب من الناس ، سمي أدب لأنه يأدب الناس إلى المحامد،،وينهاهم عن المقابح .وأصل الأدب الدعاء .و المأدبة :كل طعام صنع لدعوة أو عرس"[1]

وفي مفهومه الاصطلاحي نجد عدة آراء تحيلنا إلى معنى واحد ،وهو أن الأدب "كل مايثير فينا بفضل خصائص صياغته إحساسات جمالية ،أو انفعالات عاطفية أو هما معا "[2]

فالإحساسات الجمالية يقصد بها اعتبار الأدب فنا جميلا، في حين أن الانفعالات العاطفية هي أن يتضمن الأدب حرارة العاطفة .

أما فيما يخص تطور معنى كلمة "أدب " فقد عنت في العصر الجاهلي الدعوة إلىالطعام، من خلال الدعاء للمأدبة.

وفي العصر الإسلامي ، أفادت معنى أخلاقيا ،من خلال القول المنسوب إلى النبي الكريم : "

أدبني ربي فأحسن تأديبي ".وفي هذا دلالة واضحة على أن الأدب معناه الأخلاق الكريمة.[3]

ولأن العرب يحيون في البادية،و قد عرفوا بمبالغتهم في الحفاوة بالضيف، فكان من الطبيعي أن ينتقلوا من معنى الأدب الحسي المادي إلى المعنى النفسي الخلقي، و بين المعنيين صلة وثيقة[4].

و في العصر الأموي ظل هذا المعنى الخلقي شائعا، و لكن كلمة "أدب" تطورت إلى معنى آخر؛ وهو التعليم بطريق الرواية :رواية الشعر، والأخبار، وأحاديث الأولين، وأيام العرب، وسير

---

[1] ابنمنظور:لسان العرب، دار صادر، بيروت ، لبنان ،ط1،1990،مج1،ص206.

[2] محمد مندور: الأدب وفنونه، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط 6، 2008، ص 4.

[3] ينظر أنطونيوس بطرس: الأدب تعريفه- أنواعه- مذاهبه، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط 1، 2011، ص 10.

[4] ينظر أحمد محمد الحوفي: الحياة العربية خلال الشعر الجاهلي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ط 5 ، 1972، ص 8.

الأبطال، دون أن يكون لمعناها صلة بالدين وتعاليمه. ومثال ذلك قول معاوية: "اجعلوا الشعر أكبر همكم وأكثر آدابكم، فإن فيه مآثر أسلافكم، ومواضع إرشادكم" [1]. وهذا يدل على أن الأدب هو ذلك الفن الجميل من شعر ونثر.

وفي العصر العباسي، وبظهور علوم اللغة، أصبح معناها يشمل الشعر وما يتصل به من شرح وتفسير، إضافة إلى الأنساب، والأخبار، والأيام والنثر الفني، والنقد الأدبي. ففي هذا العصر دلت كلمة "أدب" على ما اشتملت عليه كتب: طبقات الشعراء لابن سلام (ت 232هـ)، والبيان والتبيين للجاحظ(ت 255 هـ)، والشعر والشعراء لابن قتيبة (ت 276 هـ)، والكامل للمبرد (ت 285هـ).

واليوم انحصر مفهوم الأدب وبات أقل تشعبا، فميز النقاد بين الأنواع والفنون الأدبية[2].

والأدب عموما هو كل ما أنتجه العقل الإنساني من ضروب المعرفة، من خلال استناده إلى الفكر في إعمال العقل للوصول إلى تلك المعرفة.ومن هنا اعتُبر الأدب لون من ألوان الفنون، بل وأهمها على الإطلاق.

والفن والفكر في الأدب هما الفعالية الإنسانية التي تستهدف خلق الجمال إبداعه. لذلك نجد بأن ألوان الكلام في الأدب تشمل أعمالا فنية جمالية، وأخرى عقلية فكرية أساسها اللغة وهذا ما يستدعي وجوب قولنا بأن الأدب فن وفكر، من خلال مفهوم الأدب عامة بأنه: "أحد الفنون الجميلة الخمسة: كالرسم والنحت، والرقص، والموسيقى. مثلها جميعا صناعة فنية يدل بها عن التعبير المؤثر الجميل، عن طوايا النفس البشرية في كل ما تضطرب به، من أشتات الرؤى و خواطر الفكر و الوجدان" [3].فالأدب يشمل جميع أحوال الإنسان من حزن و فرح، و حب و كراهية...، مستخدما في ذلك الفن الذي يعتبر "أصدق و أقوى تعبير عن آمال الإنسان و أحلامه، و عن دوافعه الشعورية و اللاشعورية، و بهذا يصبح له مرفأ الراحة و الأمان و متنفث

---

[1] المرجع نفسه، ص 13.

[2] ينظر أنطونيوس بطرس: الأدب تعريفه – أنواعه- مذاهبه، ص 10-11 .

[3] ميشال عاصي: الفن والأدب- بحث جمالي في الأنواع والمدارس الأدبية والفنية، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 2، 1970، ص 74.

الفكر، و وسيلة تحقيق السعادة "[1]. و من هنا يتجلى لنا دور الفكر في كونه أداة لحل المشاكل التي يواجهها الإنسان، من خلال فهم وتفسير واقعه الطبيعي والإنساني، باعتبار أن الإنسان كائن عاقل والعقل أهم المقومات الأساسية لوجود الإنسان. وبالتالي فإن الفن وليد الفكر والأدب كذلك، ولا يمكننا فصل العناصر الثلاثة عن بعضها البعض، لأن الأدب نتاج الفن والفن نتاج الفكر.

فكل ما يعبر عن تجربة بشرية بصدق، وبصياغة فنية راقية نعتبره أدبا، مثلما نجده عند الشعراء، الذين ينقلون أصداء النفس البشرية، سواء أكان فرحا أم حزنا، واستخراجها في صورة منمقة.

و لأن الشعراء أمراء الكلام، وأصحاب الفكر الراقي، فإنهم يأخذون لغتنا ومشاعرنا وأحاسيسنا ليصوغوها سحرا بيانيا. والشعر فن جميل أداته الكلمة العذبة الموقعة، تذوب فيه الفكرة كما تذوب قطعة السكر في قدح الماء.

وهذا ما يشتمل عليه الأدب الحقيقي، حينما يجمع بين المتعة الفنية والفائدة الفكرية؛ فالأدب لا يكون أدباإلاإذا حوى فكرا صائبا يخدم الفرد والمجتمع وتميز بخصائص شعرية كالصورة، والموسيقى، والرمز،..." ومن حق الأدب علينا أن ندرسه؛ لأنه ميزة تميز بها الإنسان، ولأنه لغة الروح وترجمان القلب وصقال النفس".[2]

فبفضل الأدب أبدع الشعراء في قصائدهم، التي وسموها بأساليب فنية من حسن السبك، وجمال الأسلوب، وقوة العاطفة، ونشاط الخيال. فمن الشعراء من يرمي بأفكاره الصادقة وعواطفه الجياشةنحو تجربة بشرية، أو وصف حالة وشكاية زمان، مثلما وجدناه عند الشاعر الطغرائي[*]

---

[1] راوية عبد المنعم عباس: الحس الجمالي وتاريخ الفن(دراسة في القيم الجمالية والفنية)، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، (د ط)، 2005، ص15.

[2] أحمد محمد الحوفي: الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ص19.

[*] نسبة إلى الطُّغرى أو الطغراء: وهي الطُّرَّة التي تكتب في أعلى المناشير أي الكتب والرسائل فوق البسملة بالقلم الجلي، تتضمن اسم الملك وألقابه, واصلها طُورْغاي وهي كلمة تترية استعملها الروم والفرس ثم أخذها العرب عنهم، والطغرائي نسبة إلى صانعها أو كاتبها، ينظر ترجمته:

في قصيدته المشهورة المعروفة بلامية العجم. حيث ارتأيناأن نخصص بحثنا هذا لدراسة الجوانب الفكرية والفنية التي تضمنتها القصيدة فالبعد الفكري يجسد أثار الأدباء والمؤثرات في أدبهم، في حين يجسد البعد الفني مظاهر الجمال والإبداع التي تكمن في الأعمال الأدبية، والتي تحكم عليها بالجودة.

وبهذا ارتأينا دراسة هذين البعدين من أبعاد الأدب، الذي يعد دراسة لجانب من جوانب المجتمع العربي. ولأن أدب القرن الرابع مرتبطا بالفكر والفن، فان الشعر بدوره قد شارك في ذلك فأصبح صورة للحياة الفكرية والفنية.

ياقوت الحموي: معجم الأدباء، تح: إحسان عباس ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،ط1،1993، ص 1106-1107. ابن خلكان (شمس الدين أحمد): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، مج2، دار صادر، بيروت، 1977، ص 185- 190.

أولا :الأبعاد الفكرية

تمهيد :

تقوم الحضارات على العلم والعمل والأخلاق ، وتعرف بكل ماله صلة بالمبادئ والقيم الراقية،التي عرفتها عبر مختلف أطوارها ،وعلى الإنسان أن يكون مساهما في تلك الحضارة ،بل ولابد أن يكتنه سر الحياة وما تتطلبه من صبر وشجاعة وحكمة ،وحلم وكرم وبهذا تتحقق الغاية من الوجود الإنساني في هذا العالم على أكمل وجه ،لأنها تتعلق بالجانب الاجتماعي المحسوس, الذي يتسم بالوضوح والتجلي، وقد استطاع شاعرنا الطغرائي أن يعبر عن التجربة الإنسانية بصدق عاطفي وحس مرهف، من خلال القصيدة التي تعد شكلا أدبيا تترقرق بين ثناياه معاني المجد والعزة ،فهي معرض شامل يعكس روحه المتوثبة وموهبته ،وعواطفه المكنونة ،إنها المرآة العاكسة له ،حيث أضفى عليها طابعا أخلاقيا واجتماعيا ،امتزج بآلام الغربة والحنين إلى الوطن وفراق الأهل والصديق ،ليقف متحديا زمانه بكل إرادة وشجاعة وعزيمة ،وقد جمعت قصيدة "لامية العجم " بين هذه الصفات والظواهر،لأنها تعد "من غرر القصائد ،ودرر الفوائد،لما اشتملت عليه من لطف الغزل ،واحتوت عليه من الحكم والأمثال "[1].

والأفكار المطروحة في الطريق أقام لها الشاعر الوزن ، وسقاها بالماء المنبجس بالجمال على حد قول الجاحظ قديما [*] .والجانب الفكري يقصد به "تلك القضايا الكلية الخالدة التي يطرحها

---

[1] الصفدي (صلاح الدين خليل ابن ايبك) :الوافي بالوفيات ،تح أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ،ج 13 ،دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ،لبنان ، ط1 ،2000،ص 269.

[*] أشيرهنا إلى قول الجاحظ : "المعاني والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجم والعربي ...فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير ". الجاحظ : الحيوان ، تح : عبد السلام هارون ،ج 3 ،شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ،مصر، ط 2 ،1965 ، ص131-132.

الشاعر في شعره ، متجاوزا خلال هذا الطرح ملابسات التجارب المعيشة، ومتأملا ذاته في بدايتها وحياتها ومصيرها ،وفي علاقتها بالكون و المجتمع من حولها "[1] .

من هنا قام الشعر على الانفعال والخيال ، والفكر على المنطق والحقيقة والتحليل حيث تمثل الفكرة لدى الشاعر دافعا إلى حركة الوجدان ،لذلك نجد في كل شعر جيد فكرا عقيما يعبر عنه الشاعر بطريقته هو ،مثلما وجدناه عند الطغرائي ، وتلك هي عناصر الفصل الأول ، والتي نبدأها بـ:

1 - البعد الأخلاقي :

يعد المعيار الأخلاقي أحد أهم المعايير ،التي استند إليها النقد العربي في تقويم الشعر والحكم عليه بالجودة والرداءة ، "ولما كانت الأخلاق هي مجموع قواعد السلوك ،فإنها بذلك تطلق على جميع الأفعال الصادرة عن النفس محمودة كانت أو مذمومة " [2] ، وقد ارتبطت الأخلاق بالجانب الديني لكونها مبدءا أساسيا من مبادئ الدين الإسلامي .

وقد عرف أبو حامد الغزالي- رحمه الله- الأخلاق بأنها "هيئة في النفس راسخة ،عنها تصدر الأعمال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية " [3].بحيث تستجيب فيها النفس البشرية للبيئة الاجتماعية والدعوة إلى الأخلاق الفاضلة تعد دعامة أساسية في بناء مجتمع سليم . لأنها ميثاق كامل يشمل كل أعمال الإنسان، فهي القيم العليا التي يتقيد بها الإنسان في تصرفاته والتي يسعى لإقامة الحياة البشرية على أساسها. ولا يكون الإنسان إنسانا إلا بها، لذلك نجد عديدا من النقاد قد ربطوا الشعر بغايات أخلاقية، لأن الأشكال الفنية تعد أدبا لما تضمنته من أخلاق وآداب، فإن كانت أخلاق حميدة كان الأدب الذي احتواها أدبا حقيقيا يدعو الناس إلى

---

[1] محمد عبد العزيز الموافي : شعر الفكرة في العصر العباسي ،دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة ،ط2 ،2007،ص17 .

[2] عباس ثابت حمود : المعيار الأخلاقي في نقد الشعر العربي (من القرن الثالث إلى نهاية القرن السابع ،دار دجلة ناشرون وموزعون ، عمان ،الأردن ،ط1 ،2011، ص 17.

[3] هدى علي جواد الشمري : الأخلاق في السنة النبوية ،مراجعة وتقديم :سعدون محمود الساموك ،دار المناهج للنشر والتوزيع ،عمان ، الأردن ، (د ط) ،2008 ،ص 20.

الفضائل، وإن كانت أخلاقا ذميمة كان الأدب الذي احتواها أدبا يجر الناس إلى الرذيلة، خاصة وأن للشعر وظائف أخلاقية مطالب باحتوائها ثم نقلها إلى الناس في صياغة تأسر القلوب، ولأن الشاعر الطغرائي يتمتع بقيم ومثل عليا فإن مبادئه وأخلاقه وجهته إلى نظمها في قصيدته.

باعتبارها صورة من صور الحياة الإنسانية ،ومادة من مواد الأدب الذي يمثل وعاءا لها، يمكن أن تنتقل إلينا وتحدث في نفوسنا المتعة وقد تشكل حياتنا أيضا .والشاعر بقصيدته يريد إيصال القيم والأخلاق الإنسانية إلى متلقيه في صورة رائعة يتعلق بها ذهن المتلقي حتى النهاية، ومن ثم يكون قد ضمن وصول رسالته الإنسانية والأخلاقية .

لذلك فقد تضمنت قصيدة "لامية العجم "أخلاقا عدة، لما احتوت عليه من قيم إنسانية رائعة، وأخلاقا سامية كانت خلاصة تجربة الشاعر في الحياة، حيث أشاد بخصاله قائلا :(من البسيط)[1]

أصالة الرأي صانتني عن الخطل [2] وحلية الفضل زانتني لدى العطل[3]

مجدي أخيرا ومجدي أولا شرع والشمس رأدُ الضحَى كَالشَمْس في الطفَل[4]

يفتخر الشاعر في البيت الأول بنفسه، بأن له عقلا راجحا وفكرا متفردا، ومعناه " جودة عقلي حفظتني من الخطأ في قولي وفعلي وصفة زيادتي في العلم والأدب حسنتني عند الخلو من الإمارة "[5].

إضافة إلى أنه صاحب الفضائل المشهورة، وآية في الكتابة والشعر،حسن المعرفة باللغة والأدب ،حيث كان محترما كبير الشأن جليل القدر .كما روى عنه صاحب معجم الأدباء [6].

---

[1] الطغرائي : الديوان ،مطبعة الجوائب ،قسطنطينية ،ط1، 1300،ص 54 .

[2] الخطل : هو الخطأ والمنطق الفاسد المضطرب .

[3] العطل : مصدر ،عطلت المرأة إذا خلا جيدها من الحلي .

[4] رأد : الوقت الذي فويقه الضحى ،والطفل : الوقت الذي بعد العصر وقبل الغروب .

[5] السيد أحمد الهاشمي : جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب ،ج1 ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،ط1 ،2008 ،ص 497 .

[6] ينظر ياقوت الحموي : معجم الأدباء ،ص 1106،1107.

وخير ما تجلى به الإنسان هو الخلق الفاضل ،حيث شبه الشاعر الأخلاق بالزينة وإنما بمثابة الذهب للمرأة العاطل ،كما يصف مجده وشرفه بالثبات والإشراق، حيث شبهه بالشمس في استواء حالتيها رغم اختلاف الوقتين أول النهار وآخره ،وأن مجده دائم مهما اختلفت الأزمان .

ثم يواصل الشاعر في إشادته بمكارم الأخلاق قائلا :

وذي شطاط كصدر الرمح معتقل بمثله غير هيـــاب ولا وكـــل[1]

حلو الفكاهة مر العيش قد مزجت بقسوة البأس منه رقة الغـــزل

طردت سرح الكرى عن ورد مُقْلَته والليل أَغْرَى سَـوامَ النوم بالمقـل

والركب ميل عن الأكوار من طرب صاح وآخر من خمر الكرى ثمل

فقلت أدعوك للجلى لتنصرنـــي وأنت تخذلني في الحادث الجلل ؟[2]

وهنا يصف "صاحبه ويعدد ماهو عليه من كمال الخلق ،والخلق من الصفات التي تتوخى في رفاق السفر "[3]، أو في نوائب الدهر خاصة إذا علمنا أن السفر يسفر عن أخلاق الرجال كما تقول العرب .فالشطاط هو اعتدال القامة حيث يشبهها بصدر الرمح ،فصديقه غير جبان ،حلو المزاح ،طيب الأخلاق ،ثم ينتقل بعد ذلك إلى أسلوب استفهام ،فقد دعا صاحبه لنصرته فخذله في حادث عظيم .

ولأن القصيدة في محور العلاقة بين الذات والعالم و بين الحلم والواقع ،فإنها اتصفت بجملة من الفضائل والقيم الأخلاقية :

تنام عيني وعين النجم سـاهرة وتستحيل وصبغ الليل لم يحـل

فهـل تعين على غي هممت بـه و الغي يزجر أحيانا عن الفشل

إني أريد طروق الحي من إضـم وقد حماه رماة الحي من ثعـل[4]

---

[1] وكل :عاجز.

[2] الديوان :ص54.

[3] محمد زغلول سلام :الأدب في عصر العباسيين – الجزء الثاني (من بداية القرن الرابع إلى نهايته)منشأة المعارف ،الإسكندرية ،ط1 ،1999،ص 222.

[4] اضم : اسم جبل .وثعل قبيلة من طيء .

يحمون بالبيض والسمر اللدان به سود الغدائر حمر الحلى والحلـل

فسرنـا بنا في ذمـام الليـل مهتديا بنفحة الطيب تهدينا إلى الحلـل[1]

فالحب حيث العدى والأسد رابضة حول الكناس لها غاب من الأسل[2]

نؤم نـاشئة بالجـزع قـد سقيت فصالهـا بمياه الغنج و الكحـل[3]

قد زاد طيب أحاديث الكرام بهـا ما بالكرائم من جبن ومن بخـل[4]

وبهذا اندرجت القصيدة ضمن باب النصح والإرشاد ،مما جعلنا نتعرف على ملامح شخصية الشاعر التي تحكمها الثقة في النفس والطموح ،فكانت " نفس الطغرائي نفسا حرة مرة لا تصغر أمام الأزمات ،ولا تضعف للمحن و النكبات ،فإذا أساء إليه الدهر مرة عاود الكرة حتى ينتهز فرصة ،ويقتنص من الزمان غفلة"[5].

وفي قوله :

يحمون بالبيض والسمر اللدان به سود الغدائر حمر الحلى والحلـل[6]

يقصد به"يمنع هؤلاء الرماة في الحي بالسيوف والرماح نساء سود الضفائر متحليات بالذهب الأحمر وملابس الحرير الحمراء "[7]. ويقصد بهذا القول:

"وقد زاد طيب أحاديث الكرام إذا تسامروا بذكر المحبوبة ما في النساء الكرائم من جبن وبخل "[8].فذكر الشاعر صفتين محمودتان في النساء ولكنهما مذمومتان في الرجال ،فجنبها من حيائها ،وبخلها من حسن تدبيرها ،وهاته الأبيات من الغزل العفيف ،لأنه يدعو صديقه إلى السير ليلا ،فإن رائحة النساء بالحي تهديهما إلى منازلهن .ولأن القصيدة هي فن التخييل ،فقد أثرت الحياة

---

[1] ذمام :كفالة وحرمة .والحلل :بيوت القوم التي يحلونها .

[2] رابضة : واقفة .الكناس :بيت الظبي .الأسل : الرماح .

[3] نؤم :نقصد .الجزع :منعطف الوادي . فصالها : حد السيوف . الغنج :حسن شكل العيون والكحل سواد يعلو جفون العين خلفه .

[4] الديوان :ص 54،55 .

[5] محمد زغلول سلام :الأدب في عصر العباسيين (القرن الرابع) ،ص 218.

[6] الديوان : ص 54.

[7] السيد أحمد الهاشمي : جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب ، ص 498.

[8] محمد زغلول سلام :المرجع نفسه ،ص 219

بمعانيها وتوجهاتها ودفقات مشاعرها وأنفاسها الحارة، فهي تعد بناء متكامل الأجزاء ،موحد الأنحاء، شمولي التجربة ،حيث قال الشاعر الطغرائي :

أعدى عدوك أدنى من وثقت بـــه فحاذر الناس واصحبهم على دخل

فإنمـــا رجـل الدنيـــا وواحدهـــا من لا يعول في الدنيا على رجـــل

وحســن ظنــك بالأيـــام معجـزة فظن شرا وكن منهـا على وجـــل[1]

غاض الوفاء وفاض الغدر وانفرجت مسـافة الخلف بين القـول والعمـل

وشـان صدقك عند الناس كذبهـم [2] وهـــل يطـــابق معـــوج بمعتـــدل ؟

إن كـــان ينجـــع شيء في ثباتهـــم على العهود فسبق السيف للعـــذل[3]

وهنا أراد الشاعر من قوله: لا تثق بأحد ثقة مطلقة، فربما كان أعدى أعدائك من أوليته ثقتك، فهو ينصح بمحاذرة الناس فقد نقص الوفاء وقل، وزاد الغدر بين الناس، وزادت المسافة بين القول والعمل في الوعود، وأن لا تظن بالأيام ظنا حسنا، فتكون الدنيا أكبر همك.

و لقد حثنا الشاعر على الثقة والوفاء بالعهود، والصداقة، ومحاذرة الناس، وبهذا رسم بعدا أخلاقيا متميزا، جمع فيه بين آلام زمانه وآمال نفسه من خلال ما تطمح إليه، ولم تعد القصيدة قاصرة على الكلمة الشاعرة والعاطفة المعبرة لاحتوائها على الجانب الأخلاقي فحسب، بل تجاوزتها للتعبير عن رؤية وتصور كوني خاص به.

ولأن الأخلاق ظاهرة إنسانية تمس الحياة البشرية، فقد ارتبطت ارتباطا وثيقا بالجانب الاجتماعي، فشغلت حيزا واسعا منه، من خلال دورها في إصلاح المجتمعات، فالمسائل الأخلاقية لها أثرها البالغ في واقع الحياة الاجتماعية للإنسان.

ولما كان المجتمع هو مصدر الأخلاق، فان البعد الاجتماعي هو أساس بنائه وذلك ما سنجليه في المطلب اللاحق من هذا البحث.

---

[1] الديوان :ص 55.

[2] شان : أي عاب .

[3] ينجع: يؤثر، والدواء الناجع المؤثر في المرض بالشفاء، العذل: اللوم.

2 – البعد الاجتماعي:

القصيدة هي مشروع تنموي، يهدف إلى التعبير عن الأشياء والدخول إلى حقيقة المجتمع الإنساني.

وقد "عرف المجتمع بأنه شبكة أو نسيج العلاقات الاجتماعية التي تقوم بين الأفراد وتهدف إلى سد حاجاتهم وتحقيق طموحاتهم وأهدافهم القريبة والبعيدة". [1]

وهذا ما يجعل الشاعر يصور الحياة الاجتماعية في بيئته،" فالأديب في أعماله يعبر عن رؤية طبقته للعالم، وطموحات هذه الطبقة من خلال موضوعات العمل الأدبي وشخصياته".[2]

وتصبح الأعمال الأدبية بمثابة مرآة عاكسة للواقع الاجتماعي. فالأدب تعبير عن الحساسية الوجدانية الفردية ذات الأبعاد الاجتماعية، إذ يمثل المجتمع جانب هاما من الوجود الإنساني عامة، فكل ما يصدر عنه من قضايا لابد وان يكون له أثر بالغ في الكتاب والشعراء.

ولمعرفة البعد الاجتماعي الذي رسمته القصيدة، يجب التعرف على البيئة التي عاش فيها الشاعر، التي حولت حياته من وزير وعالم، وشاعر طموح، إلى إنسان أسير دفع حياته ثمنا لطموحه وتورطه بين رجال البلاط وسلاطين السلاجقة.[*]

ينتمي الشاعر إلى العصر العباسي الثاني (232-656هـ) ،وبالتحديد في" مرحلة نفوذ الأتراك السلاجقة (447-656هـ):وقد سيطر السلاجقة على مقدرات الخلافة حتى اقتحم المغول بغداد سنة 656هـ/1258م"[3]. ففي فترات مضت " كان المجتمع العباسي شددوا إلى

---

[1] دراسات في المجتمع العربي، تأليف: نخبة من أساتذة الجامعات العربية، اتحاد الجامعات العربية، الأمانة العامة، عمان، ط1، 1985، ص17.

[2] محمد سعيد فرح ومصطفى خلف عبد الجواد: علم اجتماع الأدب، دار المسيرة للنشر والتوزيع الطباعة، عمان، الأردن، ط 1، 2009، ص 161.

[*] ينحدر السلاجقة من قبيلة قنق الغزية التركية، وينتسبون إلى جد هو سلجوق بن دقاق وكانت منازلهم في الصحراء، اعتنقوا المذهب السني ونصروه بغيرة وحماسة. ينظر: محمد سهيل طقوش: تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،ط 5، 2005، ص237-238.

[3] سامي يوسف أبو زيد :الأدب العباسي (الشعر) ،دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ،عمان ،الأردن ،ط1، 2011،ص 19.

الخلف بقوة الدين والتقاليد والعادات وهو الآن يتعرض لزلزال عظيم يدفعه دفعا إلى حضارة عظيمة ترافقها طفرة مادية لم يتعودها العرب من قبل "[1].

ولذلك كان المجتمع الذي عاشه الشاعر مضطربا ،نتيجة الحياة السياسية المتدهورة ،فالأتراك "لم يكونوا أصحاب ثقافة ولا مدنية ولا حضارة ،وإذ كانوا بدوًا لا يعرفون الصناعة ولا الزراعة ولا التجارة ولا الفنون ولا الآداب ولا قواعد الملك و السياسية، إنما هم سكان صحار وقفار وحرب وجلاد وبأس ومراس "[2].

والطغرائي يعبر عما يحس به من ألم وصراع داخلي ،فيسمعنا أصداء نفسه :

نَاء عن الأهل صفر الكف منفرد كالسيف عري متناه من الخلل

فلا صديق إليه مشتكى حـــزني ولا أنيس إليه منتهى جـــذلي [3]

يصف الشاعر حزنه لبعده عن الأقارب، ثم الفقر والوحدة، فصار بذلك كالسيف حين يتجرد من غمده، فلا صديق يشكو له جور زمانه ولا أنيسا يبث إليه فرحته، فيزيد سروره ويريح نفسه.

وقد زاوج الشاعر بين الذات والموضوع ، فصور حالته الاجتماعية أحسن تصوير ،من خلال قوله :

أريد بسطة كف أستعين بهـــا على قضاء حقوق للعلى قبلي

والدهر يعكس آمالي ويقنعـــني من الغنيمة بعد الكد بالقفل[4]

---

[1] عبد الفتاح نافع :الشعر العباسي قضايا وظواهر ،دار جرير للنشر والتوزيع ، عمان ،الأردن ، ط1، 2008 ،ص32 .

[2] شوقي ضيف :تاريخ الأدب العربي ،العصر العباسي الثاني ،دار المعارف ،مصر ،ط2، 1975،ص10.

[3] الديوان : ص54.

[4] القفل : الرجوع من السفر .

وذي شطاط كصدر الرمح معتقل بمثله غير هيـاب ولا وكـــل [1]

حلو الفكاهة مر العيش قد مزجت بقسوة البأس منه رقـة الغـزل [2]

يطمح الشاعر إلى حياة بسيطة ليستعين بها على وفاء حقوقه ولكن الزمن يرد ما يرجوه ويعكسه، فيجعله راضيا بالرجوع بعد تعبه في السفر، ثم يمزج بين حلاوة المزاح ومرارة العيش.

فالظروف السياسية التي عاشها الشاعر هي سبب في تدهور حالته الاجتماعية، لأن الأتراك لهم نفوذ سياسي في الدولة، و" أخلاقهم الاجتماعية ضعيفة وكان فيهم عبث بالأخلاق، وشراهة في جمع الأموال "[3].

ثم يقول :

أعلل النفس بالآمال أرقبها ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل !

لم أرتض العيش والأيام مقبلة فكيف أرضى وقد ولت على عجل ؟[4]

يشغل الشاعر نفسه بالآمال فيرقبها ،لأن في الآمال راحة النفوس وفي العيش ضيق لولا اتساع الأمل ،فلم يرتض العيش الذليل زمن الشباب كيف يرضاه وقد كبر ،والزمن مدبر به بعد أن كان مقبلا ؟!

مما لا شك فيه هو أن الشعر صورة عن واقع المجتمع ،رسمها ذلك الشاعر ،الفنان المبدع حين أدرك هذا الواقع بشعوره وحواسه ،من خلال وصفه لخصائص المجتمع وصفاته ،التي شملت كل جوانب الحياة ،ولأن العصر العباسي الثاني قد شهد العديد من الثورات والفتن ،فإنها حتما سوف تترك بصماتها على معظم الحياة الاجتماعية والأخلاقية .لذلك استقى الطغرائي تجاربه الاجتماعية

---

[1] وكل :عاجز .

[2] الديوان :ص55.

[3] محمد عبد المنعم خفاجي :الحياة الأدبية في العصر العباسي ،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ،ط1،2004، ص22.

[4] الديوان : ص55

من محيطه الإنساني والاجتماعي فاتخذ القصيدة وسيلة للتعبير عن ظروفه السيئة التي كان هو ضحيتها في آخر حياته ،وقد عاش في وحدة وعزلة ولدا في دخيلته الإحساس بالفراغ النفسي فأصبحت نفسه مغتربة لبعده عن وطنه الحبيب الذي أصبهان ،مما أشعره ذلك بآلام الاغتراب .

3-الاغتراب في القصيدة :

الاغتراب ظاهرة إنسانية ملازمة للوجود البشري ،وقد ورد لفظ (الاغتراب)في المعاجم العربية بمعنى "الغربة عن الوطن "[1]. لأن الحنين إلى الوطن غريزة في النفس البشرية "وقد استخدمت كلمة الاغتراب في العلاقات الإنسانية لتدل على الإحساس الذاتي بالغربة "[2].

بدأت مأساة الشاعر بالاغتراب في بغداد ،حيث قضي الدهر على طموحه في الارتقاء إلى أعلى المراتب وتولي المناصب .حيث يقول [3]:

فيـــم الإقامة بالزوراء[4] لا سكني بها ولا نـــاقتي فيها ولا جملـــي ؟

ناء عن الأهل صفر الكف منفرد كالسيف عري منتهاه من الخلل

فلا صـــديق إليه مشتكى حـــزني ولا أنيس إليه منتـــهى جذلـــي

طـــال اغترابي حتى حن راحلـــتي ورحلها وقرى العسالة الذبـــل[5]

وضـج من لغب نضـوي وعج لمـــا يلقى ركابي ولج الركب في عذلي[6]

---

[1] الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب):القاموس المحيط ،تح : مكتب التراب في مؤسسة الرسالة ،بيروت ،ط1996،5،ص152-153

[2] يحي الجبوري :الحنين والغربة في الشعر العربي (الحنين إلى الأوطان) ،دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ،عمان ،الأردن ،ط2008،1،ص16.

[3] الديوان :ص54 .

[4] الزوراء : اسم لبغداد ،وسميت بذلك لانحراف قبلتها .

[5] القرى :الظهر ،العسالة :الرماح المهتزة دلالة على لينها ،الذبل :الجافة .

[6] ضج وعج :رفع صوته ،اللغب :التعب ،النضو :المهزول ،الركاب :الإبل المركوبة ،لج : تمادى ، الغذل : اللوم .

استخدم الشاعر أسلوب الاستفهام في قوله :فيم الإقامة ؟ ليعاتب نفسه على الإقامة في بغداد ،وكأنه استهجن مقامه بالزوراء ،وذكر سبب مفارقته لها ليكون ذلك عذرا عند لائم عساه يلومه على ذلك ،فذكر الناقة والجمل ،لأنه عند العرب مثل يضرب لمن تبرأ من الظلم ،وبعيدا عن أقاربه ،فقيرا وحيدا ،بسبب اعتزال الناس له في بغداد ،حتى أن عطلته طالت فحنت راحلته إلى الرجوع ،وهذا ما جعله يلوم نفسه ،فشكى فيها " الزمان التعيس وحالته السيئة "[1] ، ولقد امتلك الطغرائي عاطفة جياشة ،ومقدرة على تصوير تجاربه في الحياة وهاته الأبيات خير دليل على ذلك.

ويظل الشاعر المغترب مخلصا لوطنه،وفيا له ،حانا إليه ،يدعو له بالخير والسعادة والحياة ، فحين أحس الشاعر بالألم لفراقه الأهل وافتقاده الأنيس عبر بالقصيدة عن مشاعره التي فاضت حنينا ورقة وعاطفة ،" وطبيعة الشاعر طبيعة مغتربة في عمومها ،فالاغتراب جزء من تكوين الشاعر لأن مفطور على حساسية فائقة ،ونظرة خاصة إلى الأمور ،إحساس بدقائق الأشياء والملامح الإنسانية ..."[2] .

إذ الشاعر– لطبيعته المرهفة — أكثر إحساسا بمرارة الحياة، وما تحمله من آلام .حيث شغلت الغربة مساحة واسعة في شعر العصر العباسي الثاني لكثرة الصراعات على السلطة ، واختلاف المذاهب والأجناس ،ومن هنا تعددت أنواع الغربة من الاغتراب عن الوطن، والمجتمع إلى الاغتراب عن الذات والروح ،ومهما تعددت أشكالها فإنها تظل دافعا وراء الشعور بالحنين إلى الوطن أو الحرية أو الأصدقاء .و" الاغتراب قضية تزامنت مع نزول الإنسان إلى الأرض حيث اغترب عن وطنه الأول :"الفردوس " [3]. وعلى الإنسان ألا يستسلم لهذه الظاهرة بالحزن والألم والمعاناة، بل يجب عليه أن يتحداها ويتجاوزها؛ بالإرادة والشجاعة حتى يتغلب على ذلك،

---

[1] كارل بروكلمان :تاريخ الأدب العربي ،ترجمة :محمود فهمي حجازي ،ج3،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1993،ص 14.

[2] كاميليا عبد الفتاح :الشعر العربي القديم (دراسة نقدية لظاهرة الإغتراب) ،دار المطبوعات الجامعية ،الإسكندرية ،2008،ص 18.

[3] المرجع نفسه ،ص5.

فيواكب سبل الحياة ويصبح عنصرا فعالا فيها، لتضمن له الاستمرار والسعادة ،والإحساس بالطمأنينة والراحة .

4- الإرادة والشجاعة:

الإرادة في مفهومها العام هي المشيئة؛ "وهي الجزء من الشخصية الذي ينميه الفرد تدريجيا ليستطيع- معتمدا على نفسه – أن يشبع دوافعه ورغباته ويتحكم بها "[1].

أما الشجاعة فهي الجرأة والإقدام ،والبأس والقوة .وهناك من يرى بأن الشجاعة تكمن في كون قوة الغضب منقادة للعقل في إقدامها وإحجامها ، لأنها تعتبر صبرا على مكاره الجهاد، وبقدر ما يكون الإنسان ذو إرادة وشجاعة ،تسهل عليه الحياة وما تحمله من أعباء ، لأنه يستطيع بذلك التغلب على المصاعب التي تواجهه ، فيصبح فردا فعالا في المجتمع قادرا على تحمل المسؤولية.

لقد كان في القصيدة ما يوحي إلى العزيمة والبسالة ،فكان لهذا الجانب نصيب وافر من خلال قوله:

لا أكره الطعنة النجلاء قد شفعت بردفة من نبـــال الأعـــين النجـل [2]

ولا أهاب الصفاح البيض تسعدني باللمح من صفحات البيض في الكلل[3]

ولا أخل بغـــــزلان أغازلهـــا ولو دهتنـي أسود الغيـــل بالغيـــل [4]

حب الســـلامة يثني هم صاحبه عن المعـــالي ويغـــري المرء بالكسل

---

[1] سعدي صناوي :مدخل إلى علم اجتماع الأدب ،دار الفكر العربي ،بيروت ،لبنان،ط1994،1،ص270.

[2] الطعنة النجلاء :الجرح المتسع برمح ،شفعت :قرنت ، ردفة :رشقة ورمية .

[3] الصفاح: السيوف ،الكلل : الستائر .

[4] الغيل :هي مأوى الأسود .

فـإن جنحت إليه فاتخـــذ نفقـا في الأض أو سلـــما في الجـــو فاعتـــزل [1]

ودع غمار العلا للمقدمين علـــى ركـــوبها واقـع منهـــن بالبـلل [2]

يرضى الذليل بخفض العيش يخفضه والعز بين رسيم الأينق الذلـــل[3]

فادرأ بها في نحور البيـــــد جافلة معارضات مثاني اللجم بالجدل[4]

فالشاعر ينفي كرهه للطعنة النجلاء من "رجال هذه القبيلة مقرونة برمية من لحاظ الأعين الواسعات لنسائها " [5].كما أنه لا يخاف سيوف رمالها ،فيخبرنا عن شدة ميله ومحافظته على مجالستهن ،ومحادثتهن ملازما لهن ،ولو دهته أسود الغيل لما أخل ،لكنها ما دهته ،فلم يخل .وحب الراحة والسلامة يمنع من طلب المعالي ،إذ المعالي لا تحصل إلا باقتحام المصاعب ،وتحدي المشاق، وإن من طلب السيادة بالشجاعة لا يحصل له ذلك إلا بعد ملاقاة الأبطال ،فإن كنت لا تروم ذلك فاتخذ حفرة في الأرض أو سلما في المعالي واعتزل الناس والعالم، ودع ساحة العلى وطريقها للشجعان والمقدمين على ركوب المعالي، والباذلين نفوسهم فيها، وكن قانعا بالقدر اليسير منها فيصيبك على قدر همتك.

كما يحث على ارتكاب الأسفار، وأن في المقام وطول المكث حطا لقدره وإذانا لعجزه، والعز يكون في السعي. وقد جعل من دفع النوق والأفراس إلى البيد التي تقطعها رحلة لبلوغ ما تريد من العز. [6]

---

[1] الديوان :ص55.

[2] غمار: الكثير، البلل: القليل.

[3] رسيم :سرعة ،الأينق الذلل: هي الإبل المروضة التي ليست بجموحة .

[4] ادرأ : ادفع ،نحور :جمع نحر وهو موضع القلادة ، البيد :جمع بيداء وهي المفازة ،جافلة : سريعة ،مثاني : جمع مثنى ،اللجم :للأفراس ، الجدل : جمع جديل وهو زمام الناقة .

[5] السيد أحمد الهاشمي :جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب ،ص499.

[6] ينظر: محمد زغلول سلام: الأدب في عصر العباسيين (القرن الربع)، ص 228.

ويواصل حديثه عن الشرف والعزة، مليئا بالآمال والطموحات؛ عارفا قيمة نفسه فهي غالية عنده، بعد ما كان يصف الدهر بأنه يثني من عزيمته في تحقيق الأمل:

إن العلا حدثتني وهي صادقـــة فيما تحدث أن العز في النقـــل

لو أن في شرف المأوى بلوغ منى لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل

أهبت بالحظ لو ناديت مستمعا والحظ عني بالجهـال في شغـــل

لعلهم إن بدا فضلي ونقصهـــم لعينه نـــام عنهـــم أو تنبـــه لـي [1]

أسند الشاعر الحديث إلى العلا وفي هذا مبالغة "ووصفها بالصدق لحقيقة حالها عندهم وجعل صدقها عاما في جميع ما تحدث به لذلك، وجعل العز في السفر لأن الحاصل فيه إما علم أو مال أو غير ذلك " [2]. ولو كان في المأوى نيل منى لما برحت الشمس مقيمة في دارة الحمل؛ الذي فيه شرفها، لكنها لا تقيم فيها فلا يكون في شرف المأوى حصول منى، فخص إقامتها في دارة الحمل، التي هي من أشرف مروج الشمس وأعلاها، ثم ينادي الحظ ولو كان مستمعا لأجابه، لكنه منشغل عنه بالجهال، وفي هذا إشادة بفضله. [3]

وإذا كان الشعر شعورا وتجربة داخلية تنتهي إلى الافصاح عن نفسها بالكلمات والتعابير، فإن الشاعر بفضل إرادته وشجاعته استطاع أن يسجل ذلك في شعره، فقد "عرف العربي بالشجاعة والإقدام".[4] فقد كان "من أبرز خصائص الشجاعة عندهم نبل الوسيلة". [5]

---

[1] الديوان، ص 55.

[2] شرح لامية العجم لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (538-616هـ)، دراسة وتحقيق: محمود محمد العامودي، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد العاشر، العدد1، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، ص 226.
www.iugaza.edu.ps/ar/periodical/articles/volume10-issue1.human6.pdf.18/04/2013.16:05.

[3] ينظر: محمد زغلول سلام: الأدب في عصر العباسيين (القرن الربع)، ص 228، 229.

[4] صالح مفقودة: الأبعاد الفكرية والفنية في القصائد السبع المعلقات، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2003، ص 104.

[5] المرجع نفسه، ص 105.

ويقول في موضع آخر من القصيدة:

غالي بنفسي عرفاني بقيمتها فصنتها عن رخيص القدر مبتذل

وعادة النصل أن يزهى بجوهره وليس يعمـل إلا في يدي بطـل

ما كنت أوثر أن يمتد بي زمني حتى أرى دولة الأوغـاد والسفـل

تقدمتني أناس كان شوطهـم وراء خطوي إذا أمشي على مهل

هذا جزاء امرئ أقرانه درجـوا من قبله فتمنى فسحـة الأجـل

وإن علاني من دوني فلا عجب لي أسوة بانحطاط الشمس عن زحل

فاصبر لها غير محتال ولا ضجر في حادث الدهر ما يغني عن الحيل [1]

يفتخر الشاعر بنفسه، وبأنه عارف بقيمتها غالية عنده، فيحفظها من الأشياء الرخيصة. كما أن السيف القاطع لا ينفع إلا في يدي بطل يحسن استخدامه.

ولم يكن يتمنى الشاعر أن يطول به زمانه وتنقضي دولة الكرام، حتى يرى دولة الجهال، الذين تقدموا عليه، فعبر عن شدة انطلاقهم بالشوط، وهذا جزاؤه لأنه تمنى طول الأجل وفسحته.

وتقدمته الأوغاد والسفل رغم منزلته الرفيعة من العلم والأخلاق فشبه ذلك بالشمس التي تحتل المكانة الرابعة في السماء، وزحل يحتل المكانة السابعة، رغم أنها أسمى منه وأشرف، بفوائدها وضوئها الذي ينتفع العالم به. [2]

ثم يقول:

---

[1] الديوان: ص 55

[2] محمد زغلول سلام: الأدب في عصر العباسيين (القرن الرابع)، ص 230.

فيم اعتراضك لج البحـــر تركبـــه وأنت يكفيـــك منه مصـــة الوشـــل؟ [1]

ملك القناعة لا يخشى عليـه ولا تحتاج فيه إلـــى الأنصـــار والخـــول [2]

ترجوا البقاء بدار لا ثبات لهـــا فهل سمعـــت بظـــل غيـــر منتقـــل؟

ويا خبيرا على الأســـرار مطلعـــا أصمت ففي الصمت منجاة من الزلل [3]

قد رشحوك بأمر إن فطنـــت لـه فاربأ بنفسك أن ترعـــى مـع الهمـــل [4]

ويتحدث الشاعر في هذه الأبيات عن القناعة والرضى بالقليل، فالقناعة لا تكلف صاحبها شيئا ولا أحدا من الأنصار والمؤيدين، كما رغبة الإنسان في الخلود والثبات على حال الدنيا ، ليس بمجد، فهي دار لا ثبات فيها ولا دوام؛ لأنها متغيرة وظل بالنسبة إلى دار الخلود الدار الآخرة.

ثم يدعوا العارف بأسرار الحياة، والعالم بأمورها أن يصمت، ويكتم أسرارها. وفي آخر قوله يخاطب: موضعك من العلم إذا عملت له مخلصا فلن تنال حقك مع الناس، وإن أهملت ذلك كنت مع الهمل، واجعل مكانتك من العلم عالية ولا تتدنى إلى درجة الهمل الذين هم بلا راعي.

وهذا ما يدل على عزيمة الشاعر وإرادته في الحياة، فبفضل علمه الواسع، وتجاربه الفذة التي خاضها مع أعداء زمانه، والتي أدت به دفع حياته.

هكذا كانت روح الشاعر الطغرائي، ملؤها التحدي والشجاعة رغم اغترابه، وسوء حاله في آخر حياته. لم يستسلم لذلك بل تصدى له بكل قوة وجرأة وإقدام.

---

[1] الوشل: ضد اللج، وهو الماء قليل الغور.

[2] الخول: الحشم، ويقع على العبد والأمة.

[3] الزلل: مصدر زل، وهو الخطأ في المنطق وغيره.

[4] الديوان، ص 56.

لقد عبرت " لامية العجم" عن ذات الطغرائي، فصورت أحاسيسه ومشاعره في أحسن صورة، بل وتجاوزت ذاتيته لترسم بذلك أبعاد فكرية تجلت فيها الظواهر الاجتماعية والقيم الأخلاقية الهادفة والسامية،التي امتزجت بروح الإرادة والشجاعة والتحدي فسلبت الخواطر، وأثارت الوجدان والعاطفة لما بلغته من صدق التجربة، لذلك يعد الجانب الفكري" بعدا ثابتا في العمل الشعري" . [1] ولقد اتخذه الشعراء مبدأ من مبادئ الإبداع عندهم، ويظهر جمال البعد الفكري فيما يحققه تنظيريا من مبادئ، ودراسات دقيقة تمس جوهر النص الأدبي عامة والشعر بشكل خاص. فقد جاءت القصيدة مليئة بالصور الرائعة، والأخلاق السامية، ومثلت خلاصة تجارب الشاعر في الحياة، والقيم التي يؤمن بها ويتحلى بها، والحكم والمثل التي استخلصها، " وكان لهذه الأهمية أثرها البين في شعراء العصر العباسي وذلك بما رفدوا به من معاني وصور جسدوا من خلالها هذه القيمة الخلقية..." [2] ،والاجتماعية بوجه عام.

ولأن الإنسان نتاج بيئته كما يقال، فإنه يتأثر بها،" وهي التي تحدد نمط تفكيره وأحاسيسه وسلوكه سواء أكانت هذه الظروف البيئية طبيعية أم سياسية أم اجتماعية". [3]

لذلك زاوج الطغرائي في القصيدة بين الغزل التقليدي، والحرمان والاغتراب ، والتطلع للمجد، والطموح للوزارة والمركز السياسي. حيث امتلك عاطفة جياشة ومقدرة في تصوير تجاربه التي نظمها في قصيدته "لامية العجم"، " ففيها يقول الصفدي: أما فصاحة لفظها فيسبق السمع إلى حفظها، وأما انسجامها فيطوف منه بخمر الأنس جامها، وأما معانيها فنزهة معانيها، وأما قوافيها فتذهب القوى فيها، وأما شكواها فترض الأكباد في الأجسام، وأما إغراؤها فيوجب الوثوب على الآساد في الآجام[*]، وأما غزلها فما تذكر معه نغمات الأوتار، وأما مثلها فماهية إلا

---

[1] يحياوي الطاهر: البعد الفني والفكري عند الشاعر مصطفى الغماري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،(د ط)، 1983، ص 33.

[2] ضياء عبد الرزاق العاني: الصورة البدوية في الشعر العباسي(334-656هـ)، دار دجلة ناشرون وموزعون، عمان، الأردن، ط 1، 2010،ص 2027.

[3] المرجع نفسه، ص 19.

[*] الآجام: جمع أجم، ويقال أجم الإنسان والفرس ونحوهما إجماما: استراح فذهب إعياؤه، وأجم فلان الطعام أي كرهه وملّه من المداومة عليه.

كالمصابيح في المساجد ذات الأنوار، كأن ناظمها غاص في البحر فأتى بالدرر منضودة أو ارتقى إلى السماء فجاء بالدراري من الأفق مصفودة " [1].

ويعد هذا الكلام من أروع ما قيل في "لامية العجم" من براعة الوصف، وحسن البلاغة وقوة التعبير.

([1]) شرح لامية العجم للعكبري، تحقيق: محمد محمود العامودي ص 198

ثانيا: الأبعاد الفنية:

تمهيد:

لقد كانت الأبعاد الفنية بمثابة الرؤى التي عكست شعرية القصيدة، فبينت مدى فهم الشاعر للواقع وترجمته في شكل موسق فياض بالمشاعر، مما يوحي بمدى تعمقه في عمله الأدبي، بوصفه خلاصة ذهنية وعملية عقلية نابعة من الفكر، بدأت بشعور وتجربة داخلية، وانتهت بالإفصاح عن نفسها بالكلمات و التعابير.

وإذا كان هذا موضوع الجانب الفكري، فإن الجانب الفني يتعدى ذلك إلى اعتبار الشعر فنا أدبيا رئيسا، تسبح في ثناياه صور وأخيلة، ورموز وموسيقى . ولما كان الشعر لوحة فنية يرسمها الشاعر ببراعة، كما يرسم الفنان بريشته، فلا بد أن تكون هذه اللوحة ذات ألوان وإيحاءات ودلالات، تزداد تأثيرا بمقدار ما تكون متقنة، وصادرة عن تجربة حقيقية، لأن الهدف الأسمى لكل فنان هو أن يبلغ عمله أفئدة المتلقين، فتهتز له نفوسهم ويحسون ما أحسه، إذ "الفن عملية إنسانية، فحواها أن ينقل إنسان للآخرين – واعيا مستعملا إشارات خارجية معينة – الأحاسيس التي عاشها، فتتنقل عدواها إليهم أيضا، فيعيشونها ويجربونها"[1] .ولهذا الجانب مواد سميت بأدوات التشكيل الجمالي، التي تبدأ بتعامل الشاعر الفذ مع اللغة.

1– اللغة الشعرية:

تعد اللغة من أهم العناصر في الإبداع الشعري، ومادة الشاعر التي يعبر بها عما بداخله "فالكلمات لدى الشاعر ليست مجرد ألفاظ صوتية ذات دلالات صرفية أو نحوية أو معجمية – وإن كان الشاعر لا يغفل في استخدامه الكلمات هذه الدلالات – وإنما هي تجسيم حي للوجود، فاللغة الشعرية وجود له كيان وجسم"[2] لما تحتويه من قوى جمالية لها تأثير خاص في نفس المتلقي، وقد اتسمت لغة القصيدة بوضوح المعاني، وقوة التعابير، التي عكست عالم الشاعر، فهو يهجم

---

[1] عبد القادر الرباعي: الصورة الفنية في شهر أبي تمام، جامعة اليرموك الأدبية واللغوية، اربد، الأردن، ط1، 1980، ص255

[2] السعيد الورقي: لغة الشعر العربي الحديث– مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية ، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، (دط)،(دت)، ص64.

على سامعه بالحكمة المجسدة لأصالة الرأي وحلية الفضل، ثم يذكر لكل غرض في القصيدة حقلا معجميا بترديدات مختلفة، كمعجم القوة والشجاعة والحرب، ومقابلتها بالسيوف والرماح، لينتقل بعد ذلك إلى "التجريد" " وهو أن يجرد الإنسان من نفسه شخصيا يخاطبه، فهو يستريح بمعاتبته" [1]كقول الطغرائي:

يَا وَارِدًا سرُّور عَيْشٍ كُلُّهُ كَدَرٌ أَنْفَقْتَ عُمْرَكَ فِي أَيَّامِكَ الأَوَّلِ [2]

وبهذا تكون اللغة الشعرية لغة إبداعية، ذات وظيفة جمالية لها وقع خاص على أذن السامع، "وهكذا تصبح اللغة لدى الشاعر وسيلة للتعبير والخلق، موسيقاه وألوانه وفكره ومادته التي سوى منها كائنا ذا ملامح وسمات"[3]

وإذا كانت اللغة ركنا جوهريا في الشعر، فإن الصورة كذلك تعد ركنا أساسيا فيه.

1 – الصورة الفنية:

موضوع الصورة قديم قدم ال شعر، "وإذا كان العرب قديما ميزوا بين الشعر والنثر بواسطة الإيقاع الموسيقي "الوزن" فقالوا: الشعر كلام موزون مقفى ، فإن الذي يميز لغة الشعر عن لغة النثر هو الصورة الفنية التي بفضلها يحقق الشعر عنصر السحر، بما يحدثه في القارئ من تأثير وانجذاب مغناطيسي "[4] .

فالصورة ما يرسمه الفنان بريشته شعرا أو نثرا لإثارة العاطفة، والتأثير في الناس بصورة أفضل من الكلام المباشر، ومن هنا اختلف النقاد والأدباء في تعريفهم للصورة، فللدكتور علي البطل يقول: "الصورة تشكيل لغوي يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة يقف العالم المحسوس في مقدمتها، فأغلب الصور مستمدة من الحواس إلى جانب لا يمكن إغفاله من الصور النفسية

---

[1]محمد زغلول سلام: الأدب في عصر العباسيين (القرن الرابع)، ص231.

[2] الديوان: ص56.

[3] السعيد الوقي: المرجع نفسه، ص ن.

[4]عبد الحميد هيمة: الصورة الفنية في الخطاب الشعري الجزائري، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص56.

والعقلية وإن كانت لا تأتي بكثرة الصور الحسية"[1]، فالصورة هي التي تكشف عن الجوانب الخفية في التجربة الفنية.

في حين يعرفها الدكتور جابر عصفور بأنها "وسيلة تعبيرية لا تنفصل طريقة استخدامها أو كيفية تشكيلها عن مقتضى الحال الخارجي الذي يحكم الشاعر ويوجه مسار قصيدته إما جانب النفع المباشر، أو جانب المتعة الشكلية" [2] ، فالصورة بهذا تعد وسيلة تخدم المعنى الذي يحكم ويوجه عمل الشاعر، إذ هي "ليست لغوا أو نافلة يقصد بها مجرد تجميل وزينة، وإنما هي تعبير عن نفسية الشاعر"[3]، لكونها مصدرا للتأمل، ومنجما للعواطف والأفكار، ونتاج خيال وتجربة شعورية، بل وعنصرا أساسيا من عناصر التعبير، و"تستعمل كلمة صورة عادة ؛ للدلالة على كل ما له صلة بالتعبير الحسي، وتطلق أحيانا مرادفة للاستعمال الاستعاري للكلمات" [4]، هدفها الإيحاء وتشكيل الزمان والمكان تشكيلا فنيا، فالصورة جوهر الشعر ومصدر تفنن الشاعر وإبداعه في عمله الأدبي والشعري خاصة، هذا في معناها العام، أما عن معنى الصورة الفنية فهي "طريقة خاصة من طرق التعبير، أو وجه من أوجه الدلالة، تنحصر أهميتها فيما تحدثه من معنى من المعاني من خصوصية وتأثير"[5] وهذا ما يجعلها ركيزة من ركائز البناء الشعري .

أما عن موضوعات الصورة الفنية في قصيدة الطغرائي فقد تنوعت مصادرها وتعددت أشكالها، فكانت كالآتي:

---

[1] علي البطل: الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري (دراسة في أصولها وتطورها)، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1981، ص20.

[2] جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 1992، ص403.

[3] عبد الفتاح صالح نافع: الصورة في شعر بشار بن برد، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، (دط)، 1983، ص57.

[4] مصطفى ناصف: الصورة الأدبية، طبعة مكتبة مصر، القاهر، ط1، 1958، ص3.

[5] جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ص323.

أ – الثقافة:

كان الطغرائي واسع الثقافة، "محبا للعلم والأدب، ألم بكثير من معارف عصره" [1] فكانت لديه القدرة على تصوير المواقف المختلفة في حياته لامتلاكه ناصية اللغة، التي عبرت عن عاطفة جياشة ومقدرة في تصوير تجاربه، من خلال الحكمة التي تنبع من فكر الرجل عندما يشعر بالفراغ، الذي "يؤدي إلى التأمل، والتأمل يؤدي إلى الحكمة، والحكمة في نمط من أنماطها تعبير وتصوير للتجارب الإنسانية والنزعات البشرية"[2]، فقال:

أَصَالَةُ الرَّأْيِ صَانَتْنِي عَنِ الخَطَـلِ وَحِلْيَةُ الفَـضْلِ زَانَتْـــنِي لَدَى العَطَــلِ
مَجْدِي أَخِيرًا، وَمَجْدِي أَوَّلاً شـرْعٌ وَالشَّمْسُ رَأْدُ الضُّحَى كَالشَّمْسِ فِي الطَّفَل[3]

حيث افتتح قصيدته بالحكمة مباشرة، وهي حكمة الرجل الطامح للمجد، الباحث عن عزة النفس، ثم يقول:

حُبُّ السَّلاَمَةِ يُثْنِي هَمَّ صَاحِبِـهِ عَنِ المَعَـالِي وَيُغْرِي المَرْءَ بِالكَسَلْ
فَإِنْ جَنَحْتَ إِلَيْهِ فَاتَّخِذْ نَفَقًـــا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي الجوِّ فَاعْتَزِلْ[4]

يعلل الشاعر نفسه بالآمال، ويرى بأن الأيام تتداولها الناس، قد يتقدم فيها الجاهل ويتوارى العالم، فيقول:

أُعَلِّلُ النَّفْسَ بِالآمَــالِ أَرْقُبُهَـا مَا أَضْيَقَ العَيْشَ لَوْلاَ فُسْحَةُ الأَمَــلِ
لَمْ أَرْتَضِ العَيْشَ وَالأَيَّامُ مُقْبِلَـةٌ فَكَيْفَ أَرْضَى وَقَدْ وَلَّتْ عَلَى عَجَـلِ
وَما كُنْتُ أُوثِرُ أَنْ يَمْتَدَّ بِي زَمَـنِي حَـتَى أَرَى دَوْلَةَ الأَوْغَـادِ وَالسَّفَـلِ
تَقَدَّمَتْنِي أُنَاسٌ كَانَ شَوْطُـــهُم وَرَاءَ خَطْوِي إِذْ أَمْشِي عَلَى مَهَـــلِ

---

[1] محمد زغلول سلام: الأدب في عصر العباسيين (القرن الرابع)، ص216.

[2] محمود الربداوي: قراءة في لاميات الأمم، مجلة التراث العربي،
www.reafnet-gov.sy/bookspzoject/turoth/83-84.20/04/2013.10:20

[3] الديوان: ص54.

[4] الديوان: ص55.

هَذَا جَزَاءُ امْرِئٍ أَقْرَانُهُ دَرَجُـــوا مِن قَبْلِهِ فَتَمَنَّى فُسْحَة الأَجَـــــل
وَإِنَّ عِلاَّتِي مِنْ دُونِي فَلاَ عَجَبَ لِي أُسْوَةٌ بِانْحِطَاطِ الشَّمْسِ عَن زُحَلِ
أَعْدَى عَدُوَّكَ أَدْنَى مَنْ وَثِقْتَ بِه فَحَاذِرِ النَّاسَ وَاصْحَبْهُم عَلَى دَخَـلِ
وَإِنَّمَا رَجُـــلُ الدُّنْيَا وَوَاحِـــدُهَا مَنْ لاَ يُعَوِّل فِي الدُّنْيَا عَلَى رَجُـــل
وَحُسْنُ ظَنِّكَ بِالأَيَّامِ مُعْجِـــزَة فَظُنَّ شَرًّا وَكُنْ مِنْهَا عَلَى وَجَـــــل
غَاضَ الوَفَاءُ وَفَاضَ الغَدْرُ وانْفَجَرَت مَسَافَة الخُلْفِ بَيْنَ القَوْلِ وَالعَمَـــل
تَرْجُوا البَقَاءَ بِدَارٍ لاَ ثَبَاتَ لَهَـــا فَهَل سَمِعْـتَ بِظِلٍّ غَيْرَ مُنْتَقِـــــل
وَيَا خَبِيرًا عَلَى الأَسْرَارِ مُطَّلِعًـــا أُصْمُتْ،فَفِي الصَّمْتِ مَنْجَاةٌ مِنَ الزَّلَلِ
قَدْ رَشَّحُوكَ لأَمْرٍ إِنْ فَطِنْتَ لَهُ فَارْبَأْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَرْعَى مَعَ الْهَمَـــل[1]

يصنع الشاعر حكما كثيرة في القصيدة، وهي حكم خالدة تصلح لكل زمان ومكان، ففي القصيدة القديمة نجد الحكمة تتناثر فيها أبياتا ق لية، أما "لامية العجم" فقد هجم على سامعه بتجسيده لها، ولا يكاد يخلو بيت منها.

هذا فيما يخص الموضوع الأول من مواضيع ال صرورة الفنية في قصيدة الطغرائي، اما الصورة الثانية فقد تمثلت في :

ب – الطبيعة:

للطبيعة أثر كبير في نفسية الشاعر، ولها حضور واسع في قصائده، إذ تلهم الشعراء – بمناظرها المتنوعة – أعذب الأشعار وأرقها لنقل أحاسيسهم النفسية وانفعالاتهم الداخلية , "مما جعل من الطبيعة ساحة يكشف الشعراء من خلالها عن مواهبهم وقدراتهم الفنية سيما في مجال التصوير الفني الذي يعتمد على صقل موهبة الخيال" [2]، وقد جسد الطغرائي الطبيعة في قصيدته بنوعيها: الصامتة والحية، حيث نبدأ بـ:

---

[1] الديوان: ص55-56

[2] نسيمة قط: جماليات القصيدة الغزلية في شعر عبد الله بن الحداد، مخطوط مذكرة الماجستير في الأدب المغربي والأندلسي، إشراف: د/ جاب الله أحمد، قسم الأدب العربي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2008-2009.

1- الطبيعة الصامتة:

لقد كان لها حضور واسع في ثنايا القصيدة ؛ من ليل وكواكب ونجوم، وقد وظف الشعراء السماء ومكوناتها، وعوالم الكواكب والنجوم بدلالاتها، والشمس التي تمثل الهمة العالية عند الإنسان، مثلما هو مبين في الأبيات:

مَجْـدِي أَخِيرًا،وَمَجـْدِي أَوَّلاً شَـرْعٌ وَالشَّمْسُ رَأْدُ الضُّحَى كَالشَّمْسِ فِي الطَّفَل[1]

ويقول في بيت آخر:

طَرَدْتُ سَرْحَ الكَرَى عِنْدَ وِرْدِ مُقْلَتِهِ وَاللَّيْلُ أَغْرى سَوَامَ النَّوْمِ بِالمُقَلِ[2]

ثم يقول:

تَنَامُ عَيْنِي وَعَيْنُ النَّجْمِ سَاهِرَةٌ وَتَسْتَعِيلُ وصِبْغَ اللَّيْلِ لَمْ يَحُلِ[3]

وفي بيت آخر يقول:

فَسِرْ بِنَا فِي ذِمَامِ اللَّيْلِ مُعْتَسِفًا بِنَفْحَةِ الطِّيبِ تَهْدِينَا إِلَى الحِـــلَلِ[4]

وفي موضع آخر يقول:

فَإِنْ جَنَحْتَ إِلَيْهِ فَاتَّخِذْ نَفَقًـــا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي الجَوِّ فَاعْتَزِلْ[5]

ويتابع الشاعر في رسم صورة طبيعية صامتة بقوله:

لَوْ أَنَّ فِي شَرَفِ المَأْوَى بُلُوغَ مِنًى لَمْ تَبْرَحْ الشَّمْسَ يَوْمًا دَارَةَ الحَمَلِ[6]

ويقول:

وَإِنَّ عِلاَّتِي مِنْ دُونِي فَلاَ عَجَبَ لِي أُسْوَةٌ بِانْحِطَاطِ الشَّمْسِ عَنْ زُحَلِ[1]

---

(1) الديوان: ص54

(2) نفسه: ص 54.

(3) نفسه: ص ن

(4) نفسه: ص ن

(5) نفسه: ص55

(6) نفسه: ص ن.

وفي البحر يقول:

فِيمَ اِقْتِحَامُكَ لُجَّ البَحْرِ تَرْكَبُـهُ وأَنْتَ يَكْفِيكَ مِنْهُ مَصَّةُ الوَشَـــلِ ؟[2]

من خلال هذه النماذج التي صورها الشاعر، عايش أج وايها، نجدها تحمل دلالات عدة، فوصف الشمس بشموخها وارتفاع مكانتها بين باقي الكواكب، حيث شبه مكانت هـ بمكانتها، لأن منزلة الشاعر عالية تسري في أفق راق بالعلم والأدب والبلاغة، في حين صورة الليل والنجم ليريد بهما الهموم التي تقتحم حياة عديد من الشعراء، فتغدو لياليهم طويلة لا تنتهي لنزول الهم والحزن والألم وقتها، ويسهر الشاعر مثلما تسهر النجوم مضاءة طوال الليل، كما يستخدم البحر في خوض أمواج الحياة وما تحمله من صراعات .

وفي هذا كله اعتمد الطغرائي على التشخيص، مجسدا في ذلك عنصر الخيال لأنه أساس الصورة ولا تقوم إلا عليه، فكان "للخيال دور كبير لدى الشعراء اعتمدوا عليه في تقديم لوحاتهم الفنية، وركنوا إليه في تلوين صورهم، وعمدوا إليه في التعبير عن أحاسيسهم ومشاعرهم فخاضوا في عالم الوجدان وعبروا عن مكنونات النفس البشرية "[3].

وثاني أنواع الطبيعة هو:

2- الطبيعة الحية:

وكما وظف الشاعر الطبيعة الصامتة، وظف أيضا الطبيعة الحية، "والطبيعة الحية هي ما اشتملت عليه من أصناف الحيوان"[4] ، وقد أمدت الشاعر بصور عدة، تمثلت معظمها في:الناقة، والخيل، والظبي، والأسد، ...، وقد كان لها حضور قليل في القصيدة، حيث يستهلها بالناقة التي

---

[1]الديوان: ص 55.

[2]الديوان: ص56

[3]عبد الفتاح صالح نافع: الصورة في شعر بشار بن برد، ص231.

[4]جودت الركابي: في الأدب الأندلسي، دار المعارف، مصر، ط4، 1970،ص125.

تأتي "في مقدمة الحيوانات التي ألفها البدوي، إذ هي وسيلته المفضلة في مواجهة ضروب صرا عه اليومي في بيئته الصحراوية في حله وترحاله"[1].

فيقول الطغرائي:

فِيمَ الإِقَامَةُ بِالزَّوْرَاءِ لاَ سَكَنِي بِهَا وَلاَ نَاقَتِي فِيهَا وَلاَ جَمَلِي؟[2]

ثم يقول:

طَالَ اِغْتِرَابِي حَتَّى حَنَّ رَاحِلَتِي وَرَحْلُهَا وَقَرَى العَسَّالَة الذَّبُلِ[3]

ونجده في موضوع آخر يقول:

يَقْتُلْنَ أَنْضَاءُ حُبٍّ لاَ حَرَاكَ بِهَا وَيَنْحَرُونَ كِرَامَ الخَيْلِ وَالإِبِلِ[4]

ويواصل الشاعر في ذكر الناقة قائلا:

يَرْضَى الذَّلِيلُ بِخَفْضِ العَيْشِ يَخْفَضُهُ وَالعِزُّ تَحْتَ رَسِيمِ الأَيْنَقِ الذُّلَلِ [5]

والناقة والجمل مظهران من مظاهر الحياة، يعادلان بهما قوة التحمل، لذلك نجد الشاعر الجاهلي قد اهتم بالناقة اهتماما بالغا ولا يكاد يخلو الشعر الجاهلي منها، إضافة إلى الخيل الذي يعد وسيلة للتنقل من مكان إلى آخر، ووسيلة حرب في المعارك.

كما ذكر الطغرائي الأسد في الشجاعة وقوة البأس:

فَالحُبُّ حَيْثُ العِدَى وَالأَسَدُ رَابِضَة حَوْلَ الكِنَاسِ لَهَا غَابٌ مِنَ الأَسَلِ[6]

---

[1] ضياء عبد الرزاق العاني: الصورة البدوية في الشعر العباسي (334-656 هـ)، ص133.

[2] الديوان: ص54.

[3] نفسه: ص ن.

[4] نفسه: ص55.

[5] نفسه: ص ن

[6] نفسه: ص54.

وأراد الشاعر هنا من لفظه "الأسد" الرجال الذين يحرسون الكناس التي هي بين الظبية، فوصف فرسان المعارك بالأسود الرابضة التي تتحين الفرصة للفتك بالأعداء.

وفي الغزلان التي توحي بالنساء يقول:

وَلاَ أُخِـــــلُّ بِغِزْلاَنٍ أُغَازِلُهَـــا وَلَو دَهَتْنِي أُسُودُ الغَيْلِ بِالغِيَلِ[1]

ويظل الحيوان حقلا خصبا في القصيدة، بمختلف أنواعه ومسمياته.

وبتعدد مصادر الصورة الفنية، جعلت الشاعر يتأمل فيما حوله من أسرار هذا الكون العجيب، كالطبيعة التي يعشها، أو الحيوانات التي تتواجد في بيئته.

وكما توجد مصادر وموضوعات للصورة الفنية، توجد كذلك أنماط، يقول الدكتور علي البطل:"يتميز في تاريخ تطور مصطلح الصورة الفنية مفهومان: قديم يقف عند حدود الصورة البلاغية في التشبيه والمجاز، وحديث يضم إلى الصورة البلاغية نوعين آخرين هما: الصورة الذهنية، والصورة باعتبارها رمزا".[2]

وقد جاءت القصيدة حافلة بأنواع التشبيه، والمجاز، والكناية، والاستعارة، وسنقتصر على ذكر بعض النماذج في كل نوع:

أ – التشبيه: وهو فن من الفنون البلاغية، يدل على سعة الخيال وجمال التصوير، ويزيد المعنى قوة ووضوحا. ويعرفه الدكتور صفي الدين الحلي بقوله:هو "الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى" [3] فكان التشبيه الوسيلة الصورية واللون البياني الذي جاء كثيرا في قصائد الشعراء، ومنه قول الطغرائي:

---

[1]الديوان: ص55.

[2]علي البطل: الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، ص15.

[3]صفي الدين الحلي(عبد العزيز بن سرايا بن علي السنبسي الحلي): شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، تح: نسيب نشاوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (دط)،(دت)، ص184.

مَجْـــدِي أَخِيرًا،وَمَجْـدِي أَوَّلاً شَـرَعٌ وَالشَّمْسُ رَأْدُ الضُّحَى كَالشَّمْسِ فِي الطَّفَلِ[1]

شبه الشاعر ثبات مجده في الآخر والأول بالشمس في استواء حالتها رغم اختلاف الوقت أول النهار وآخره.

وقوله:

نَاءٍ عَنِ الأَهْلِ صِفْرَ الكَفِّ مُنْفَرِدٌ كَالسَّيْفِ عُـرِّيَ مَتْنَـاهُ مِنَ الخِلَلِ[2]

شبه الطغرائي وحدته وبعده عن هله بالسيف الذب ينزع من غمده .

وَذِي شِطَاطٍ كَصَدْرِ الرُّمْحِ مُعْتَقِـل بِمِثْلِهِ غَيْرِ هَيَّابٍ وَلاَ وَكِـلِ[3]

شبه اعتدال القامة بصدر الرمح، ويقصد به صديقه لطيب خصاله.

لقد كانتا هذه الأمثلة نماذج قليلة من توظيف الشاعر للتشبيه الذي ورد في القصيدة بشكل بارز، وكله يوحي إلى المجد والشرف، فتارة يشبه شرفه بالشمس في ارتفاع المنزلة، وتارة أخرى يشبه قوة حزمه بالسيوف والرماح.

ب . المجاز : وكثيرا ما يحتاج إليه الشاعر عندما يريد التوسع في اللغة، والقوة في البيان، والإيجاز في العبارة، أو عندما يريد المبالغة أو التنويع في أساليبه، وقد عره الجرجاني بقوله: " مفعل من جاز الشيء يجوزه إذا تعداه، وإذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وصف بأنه مجاز علة معنى أنهم جازوا به موضوعه الأصلي أو جاز هو مكانه الذي يوضع فيه أولا"[4]

وقد أضفى المجاز على القصيدة صورا بيانية وفنية رائعة من خلال:

تَنَامُ عَيْنِي وَعَيْنُ النَّجْمِ سَاهِرَةٌ وَتَسْتَحِيلُ وصِبْغُ اللَّيْلِ لَمْ يَحُلِ[5]

---

[1] الديوان: ص54.

[2] الديوان: ص ن

[3] الديوان: ص ن.

[4] عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة في علم البيان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (دط)، (دت)، ص342.

[5] الديوان: ص54.

فجعل الشاعر للنجم عينا ساهرة ترعاه لواحظه:

وقوله:

لَوْ أَنَّ فِي شَرَفِ المَأْوَى بُلُوغَ مِنًى لَمْ تَبْرَحْ الشَّمْسُ يَوْمًا دَارَةَ الحَمَلِ[1]

دارة بمعنى دائرة، ولا دائرة للحمل بل الدائرة للشمس .

وكذلك قوله:

وَعَادَةَ النَّصْلُ أَنْ يَزْهَى بِجَوْهَـرِهِ وَلَيْسَ يَعْمَلُ إِلاَّ فِي يَدَيْ بَطَـلِ[2]

وهل للسيف أن يزهى ؟ وفي هذا إشادة بخصاله ومبالغة فيها.

وهذه النماذج توحي بالمبالغة وقوة البيان، من خلال ق درتها على لفت انتباه المتلقي والتأثير في نفسيته.

ج . الاستعارة: وتعد نوعا من التعبير الدلالي الذي يقوم على المشابهة "إذ أنها تواجه طرفا واحدا يحل محل طرف آخر ويقوم مقامه لعلاقة اشتراك بتلك التي يقوم عليها التشبيه"[3].

وفي تعريف بسيط للجاحظ يقول فيه عن الاستعارة بأنها:" تسمية الشيء باسم غيره، إذا قام مقامه"[4]، فهي عنصر مهم من عناصر الابداع الشعري لامتلاكها دورا أساسيا في صناعة الكلام، بطريقة جمالية وفنية.

وقد كان لها الحظ الأوفى في القصيدة، فقال الطغرائي:

طَرَدْتُ سَرْحَ الكَرَى عِنْدَ وِرْدِ مُقْلَتِهِ وَاللَّيْلُ أَغْرَى سَوَامَ النَّوْمِ بِالمُقَلِ[5]

---

[1] الديوان: ص55.

[2] الديوان: ص ن.

[3] جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ص201.

[4] الجاحظ أبو بحر عثمان: البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، ج1، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط3، 2001،ص153.

[5] الديوان: ص54.

استعار الطرد للمنع، كما استعار للكرى وهو النعاس، سرحا وهو المال السائب، فالنعاس للإنسان وليس للمال، وهذه استعارة مكنية حذف الإنسان وترك صفة تدل عليه وهي النعاس.

وقوله:

فَالحُبُّ حَيْثُ العِدَى وَالأَسَدُ رَابِضَة حَوْلَ الكِنَاسِ لَهَا غَابٌ مِنَ الأَسَلِ[1]

فالأسد مستعار للرجال، كما أن الكناس مستعار لبيت المحبوبة التي شبهها بالظبية.

وقوله أيضا:

تَبِيتُ نَارُ الهَوَى مِنْهُنَّ فِي لَبِـدٍ حَرَّى ونَارُ القِرَى مِنْهُمْ عَلَى القِلَل [2]

وهي استعارة لحرفةالحب والجوى.

وقوله كذلك:

وَلاَ أَكْرَهُ الطَّعْنَةَ النَّجْلاَءَ قَدْ شُفِعَتْ بِرَدْفَةٍ مِنْ نِبَالِ الأَعْيُنِ النُّجْـــلِ[3]

ونبال الأعين مستعار لنظرات النساء فحذف النساء وترك صفة تدل عليها وهي الأعين النجل.

وفي قوله أيضا:

فَادْرَأْ بِهَا فِي نُحُورِ البِيدِ جَافِـلَةً مُعَارِضَاتٍ مَثَانِي اللُّجْمِ بِالجَدَلِ[4].

وبيداء هي المفازة، أي أن الطغرائي جعل المفازة للنوق وللأفراس وجعل دفعا بلوغا لما تريد من العز والمال.

والملاحظ على هذه الاستعارات أنها مكنية في مجملها، وقد اقتصر الشاعر على هذا النوع ليحقق بذلك صورة فنية بلاغية، لها قيمة بالغة في القصيدة.

إذ إنه يبث الحركة والحياة والنطق في الجماد وذلك بإبرازها للعيان في صورة شخوص وكائنات حية يصدر عنها كل ما يصدر عن الكائنات الحية من حركات وأعمال[1].

---

[1] الديوان: ص ن.

[2] الديوان: ص55.

[3] الديوان: ص ن.

[4] الديوان: ص55.

د . الكناية : وهي "أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه، ويجعله دليلا عليه" [2] ، وهناك من علماء من يعرف الكتابة بالرمز، لكونهما يمثلان شيئا ظاهرا يومئ إلى شيء آخر خفي.

مثل قول الطغرائي:

فِيمَ الإِقَامَةُ بِالزَّوْرَاءِ لاَ سَكَنِي بِهَا وَلاَ نَاقَتِي فِيهَا وَلاَ جَمَـلِي؟"[3]

"وهذا الكلام كناية عن قطع العلائق"[4]

وقوله:

فَإِنْ جَنَحْتَ إِلَيْهِ فَاتَّخِذْ نَفَقًـا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي الجَوِّ فَاعْتَزِلْ[5]

وهي كناية عن بلوغ المعالي وطلب الرفعة.

لقد جعلت هذه الأنماط من الصورة الفنية عنصرا فعالا، وجانبا بلاغيا بارزا في القصيدة، حقق فيها حركية مفعمة بألوان البيان والبديع، فحقق بهذا عنصر التكامل بين الشاعر والحياة، ومن هنا اعتبرت الصورة الفنية طريقة خاصة من كرف التعبير، بل ووجها من أوجه الدلالة، لما تحدثه في المعاني من خصوصية وتأثير، يعملان على تحسين المعنى وتزيينه.

وستظل الصورة .على مر العصور . جوهر التجربة الفنية وأساس عملها الإبداعي في مجال الشعر، ولكي تكون متكاملة الأجزاء متلاحمة لابد من توفر عنصر الرمز، الذي يمثل العالم السحري في فضاء القصيدة.

3 . الرمز الفني:

---

[1] ينظر: يوسف أبو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية، دار المسيرة، عمان، ط1، 2007، ص203.

[2] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، (دط)، 1991،ص79.

[3] الديوان: ص54.

[4] جلال الدين سيوطي: شرح لامية العجم للطغرائي، تدقيق: أحمد علي حسن، مكتبة الآداب، القاهرة، (دط)، 1923، ص5

[5] الديوان: ص55.

يعتبر الرمز من أهم الظواهر الفنية، فهو"مثل الصورة، يطلعنا الشاعر من خلاله على جوهر العلاقة التي تربط بينه وبين العالم الموضوعي أوم الحياة من حوله" [1] ، وقد تعدد التعريفات حول ظاهرة الرمز، فهو" كما يقول يونغ: وسيلة إدراك ما لا يستطيع التعبير عنه بغيره فهو أفضل طريقة ممكنة للتعبير عن شيء لا يوجد له أي معادل لفظي بديل من شيء يصعب أو يستحيل تناوله في ذاته "[2].

والشعراء بقدرتهم وإبداعهم يمنحون اللغة الشعرية دلالات وإيحاءات رمزية، تجعل من أعمالهم الأدبية تشكيلات فنية وجمالية راقية، إذ يعد الرمز" الوسيلة الناجحة إلى تحقيق الغايات الفنية الجمالية، وإلى إدراك ما لا يمكن إدراكه ولا التعبير عنه بغيره، ولا سيما إذا اتحد مع وسائل أخرى في السياق الشعري، لأن الرمز ابن السياق وهو سمة النص" [3] ، لأنه ـ كما يقال عنه ـ فن التعبير عن الأفكار والعواطف، بحيث "يعتبر وسيلة الأديب لينفذ به من الشيء المحسوس الذي تجسده الكتابة الحرفية، وصولا إلى جوهر المعنى الحقيقي الذي يريده، لوجود تشابه بين الطرفين واستخدامه له حفظا لذاته، وإشباعا لغريزته الفنية والجمالية"[4].

وقد جاءت "لامية العجم" وافرة بالرموز من خلال:

مَجْـــدِي أَخِيرًا،وَمَجْـــدِي أَوَّلاً شَرْعٌ وَالشَّمْسُ رَأْدُ الضُّحَى كَالشَّمْسِ فِي الطَّفَل[5]

والصورة هنا تمثيلية تتجلى فيها معاني التداخل بين المشتبه والمشتبه به، بين مجد الشاعر والشمس، "ومن المعروف أن لفظ "الشمس" مثلا، له تاريخ من الاستعمال طويل في الشعر العربي، فهو يأتي في صورة لا حصر لها، تتعدد ألوانها وتتنوع دلالاتها بحسب قدرة كل شاعر على حشد طاقة

---

[1]عثمان حشلاف: الرمز والدلالة في شعر المغرب العربي المعاصر (فترة الاستقلال) منشورات التبيين، اجاحظية، سلسلة الدراسات، الجزائر، (دط)، 2000، ص5

[2]دقياني عبد المجيد: الصورة الشعرية في شعر بلقاسم خمار، مجلة المخبر (أبحاث في اللغة والأدب الجزائري)، العدد الثالث 2006, قسم اللغة والأدب العربي, كلية الآداب واللغات والعلوم الإنسانية والاجتماعية, جامعة محمد خيضر بسكرة، ، ص127.

[3]ناصر لوحيشي: الرمز في الشعر العربي، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2011، ص10.

[4]نسرين حوبمي: دلالة الرمز في أدب الأطفال كليلة ودمنة أنموذجا، مخطوط مذكرة ماستر في الأدب الحديث والمعاصر، إشراف: د/ علي بخوش، قسم الأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2011-2012، ص11.

[5]الديوان: ص54.

الإيحاء في الصورة"[1] والطغرائي جعل من الشمس في علو مكانتها وقوة إشراقها، مثل مجده الذي سيبقى شامخا على مر الزمان.

ثم يقول:

فِيـــمَ الإِقَامَةُ بِالزَّوْرَاءِ لاَ سَكَـنِي بِهَا وَلاَ نَاقَتِي فِيهَا وَلاَ جَمَـــلِي ؟

نَاءٍ عَنِ الأَهْلِ صِفْرَ الكَـفِّ مُنْفَرِدٌ كَالسَّيْفِ عُرِّيَ مَتْنُهُ مِنَ الخِـلَلِ[2]

يعاتب الشاعر نفسه عن الإقامة ببغداد رمز الحضارة والشموخ، كما ينفي وجود ناقته وجمله فيها، وهما ذو رمزية كبيرة عند الشعراء، "فالناقة في ذهن العربي رمز القوة، والصبر، والأناة، وهي سفينة نجاه التي تصل به إلى عالمه الآخر"[3] ، وبهذا أصبحت "الناقة جزءا من الشاعر لا يمكنه أن يتخلى عنه"[4]، في حين استخدم الجمل الذي يعادل به قوة التحمل، وذكر السيف، و"كان السيف رمز الشجاعة والنصر، وعنوان البطولة والشهامة الفاصل في الملمات"[5]، وقد استخدم الشاعر السيف السيف والرمح بترديدات مختلفة كقوله:

طَالَ اِغْتِرَابِي حَتَّى حَنَّ رَاحِـــلَتِي وَرَحْلُهَا وَقَرَى العَسَّالَة الذُّبُلِ[6]

ويقول:

وَذِي شِطَاطٍ كَصَدْرِ الرُّمْحِ مُعْتَقِل بِمِثْلِهِ غَيْرِ هَيَّابٍ وَلاَ وَكِ ـــــلِ[7]

وفي موضع آخر :

وَلاَ أَكْرَهُ الطَّعْنَةَ النَّجْلاَءَ قَدْ شُفِعَتْ بِرَدْفَةٍ مِنْ نِبَـــالِ الأَعْـيُنِ النُّجْـــلِ

---

[1]عثمان حشلاف: الرمز والدلالة في شعر المعرب العربي المعاصر، ص8.

[2]الديوان: ص54.

[3]ضياء عبد الرزاق العاني: الصورة البدوية في الشعر العباسي، ص136.

[4]المرجع نفسه: ص134.

[5]عثمان حشلف: الرمز والدلالة في شعر المغرب العربي المعاصر، ص100.

[6]الديوان: ص54.

[7]الديوان: ص ن.

وَلاَ أَهَابُ الصِّفَاحَ البِيضَ تُسْعِدُنِي بِاللُّمَحِ مِنْ صفحَاتِ البِيضَ فِي الكِلَلِ[1]

ووسيلة الشاعر في كل هذا هي المجاز، لذلك اقترن الرمز بالمجاز، وهعاك من يرى فيه نوعا من الكناية، حيث" يعتبر المجاز من أرقى خصائص التعبير في الكلام الإنساني بصفة عامة والتعبير الشعري بصفة خاصة، والدراسات التي تشير إلى أهمية المجاز كثيرو، وقديمة قدم المجاز" [2]، يقول الطغرائي:

طَرَدْتُ سَرْحَ الكَرَى عِنْدَ وِرْدِ مُقْلَتِهِ وَاللَّيْلُ أَ غْرَى سَوَامَ النَّوْمِ بِالمُقَلِ[3]

ثم يقول:

تَنَامُ عَيْنِي وَعَيْنُ النَّجْـمِ سَـاهِرَةٌ وَتَسْتَ حِيلُ وصِبْغَ اللَّيْلِ لَمْ يَحُلِ[4]

ثم قوله:

فَسِرْ بِنَا فِي ذِمَـامِ اللَّيْلِ مُعْتَسِفًـا بِنَفْحَةِ الطِّيبِ تَهْـدِينَا إِلَى الحِلَلِ

فَالحُبُّ حَيْثُ العِدَى وَالأَسَدُ رَابِضَـةٌ حَوْلَ الكِنَاسِ لَهَا غَابٌ مِنَ الأَسَلِ[5]

ولا يكاد يخلو شعر شاعر من "الليل" و"النجوم"، لوجود "علاقة التلازم بين النجوم ومشاعر الحزن والأرق والاشتياق وبث الشكوى المرتبطة بعاطفة خالدة على مر العصور فالحزن على من لا عودة له في مرائي الشاعر والحزن على فراق الأحبة في غزلهم ليس يحويه إلا الليل، فالليل مستودع الهموم فلا يملك الشاعر إلا أن يبوح بمكنوناته لنجوم الليل فهي التي تنصت له عندما يبوح بها"[6]

---

[1] الديوان: 55.

[2] آمنة بلعلى: أثر الرمز في بنية القصيدة العربية المعاصرة (دراسة تطبيقية)، ديون المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص5.

[3] الديوان: ص54.

[4] الديوان: ص ن.

[5] الديوان: ص ن.

[6] م.م دبلم كاظم سهيل: الكواكب والنجوم ودلالتها في الشعر الأموي (جرير والأخطر أنموذجا)، رئاسة جامعة بغداد، ص447
WWW.iasj-net/iasj?Func=Full text ald =43377.22/2013.09:05

كما استخدم "الأسود" بوصفها رمز للرجال، لأن الأسد "حيوان عرف بالقوة والبطش والشجاعة والهيبة"[1].

ويستمر الشاعر في ذكر مظاهر الطبيعة بينها وبين مجده ومكانته، ثم بينها وبين المرأة التي تعد رمزا للهناء والراحة، والحرية التي هي أغلى ما يملكه الإنسان.

حيث "يشكل الليل والكواكب والنجوم في حياة الإنسان بعدا مؤثرا في صميم واقعه بحكم ظروف بيئته التي نشأ فيها"[2].

فيقول الشاعر:

لَوْ أَنَّ فِي شَرَفِ المَأْوَى بُلُوغَ مِنًى لَمْ تَبْرَحْ الشَّمْسَ يَوْمًا دَارَةَ الحَمَلِ[3]

ويقول أيضا:

وَإِنَّ عِلاَّنِي مِنْ دُونِي فَلاَ عَجَبَ لِي أُسْوَةٌ بِانْحِطَاطِ الشَّمْسِ عَن زُحَلِ[4]

وكلها تشير إلى مجد الشاعر وعزته وعظمة مكانته بين أبناء عصره، و"قيل: زحل فلان، إذا أبطأ وبذلك سمي هذا الكوكب بطئه في السماء"[5].

ويظهر من استقرار النماذج الشعرية بأن "النجوم والكواكب وأسمائها شكلت رافدا شعريا استلهم منه الشعراء الكثير من الصور الجميلة وفي مختلف الأغراض الشعرية" [6].

وإذا كان الرمز بجماله الفني قد زاد القصيدة تماسكا في الألفاظ، وقوة في التعبير، فإن التناص بدوره قد أثرى المعجم الشعري وخلق ثقافة متنوعة في القيدة.

---

[1] ضياء عبد الرزاق العاني: الصورة البدوية في الشعر العباسي، ص193.

[2] المرجع نفسه: ص60.

[3] الديوان: ص55.

[4] الديوان: ص ن.

[5] م.م دبلم كاظم سهيل: الكواكب والنجوم ودلالتها في الشعر الأموي، ص443

[6] المرجع نفسه: ص444.

4 . التناص:

يعد التناص من المصطلحات النقدية التي ذاع صيتها في العصر الحديث، بدءا من الشكلانيين الروس، ثم العرب، وقد اختلفوا في تعريفهم لهذا المصطلح، وجل المفاهيم توحي في مجملها إلى أن التناص هو:" فسيفساء من نصوص أخرى أدمجت في النص المقروء بتقنيات مختلفة . يمتصها المبدع ويجعلها من عنده ياته ويصيرها منسجمة مع فضاء بنائه ومع مقاصده . يحولها بتمطيطها أو تكثيفها بقصد مناقضة خصائصها ودلالتها أو بهدف تعضيدها"[1].

وقد كان للتناص حضور في القصيدة، ففي أول بيت منها يقول:

أَصَالَةُ الرَّأْيِ صَانَتْنِي عَنِ الخَطَل وَحِيلَةُ الفَضْلِ زَانَتْنِي لَدَى العَطَل [2]

وهذا البيت مأخوذ من قول المتنبي: (من الكامل):

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْـعَانِ هُوَ أَوَّلٌ وَهِـــيَ المَحَـــلُّ الثَّانِي[3]

وكلا الشاعرين يمجد الرأي الصائب والصارم ويجعله في المقام الأول والأساسي، لأن الشجاعة دون رأي وحلم تهور تجني على صاحبها الويلات.

ويقول الطغرائي:

يَمْحُونَ بِالبِيضِ وَالسُّمْرِ اللَّدَانِ بِهِ سُودَ الغَدَائِرِ حُمْرَ الحُلَى وَالحُلَلِ [4].

وَهذا يشبه قول المتنبي: (من البسيط):

مِنَ الجَآذِرِ فِي زِيِّ الأَعَـــارِيبِ حُمْرَ الحُلَى وَالَمطايَا وَالجَلاَبِيبِ[5].

---

[1] جمال مباركي: التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، دار هومة، الجزائر، ط1، 2003، ص47.

[2] الديوان: ص54.

[3] المتنبي: الديوان، شرح: عبد الرحمان البرقوقي، راجعه وفهرسه: يوسف الشيخ محمد البقاعي، ج 1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 2004، ص431.

[4] الديوان: ص54.

[5] المتنبي: الديوان، شرح: عبد الرحمن البرقوقي، ص182.

كما يوجد في القصيدة تناص م ع القرآن الكريم، بما له من مكانة هامة في نفوس الشعراء والأدباء، حيث "يعد القرآن رافدا غنيا، ومنهلا عذبا للشعراء، فاستقى منه الشعراء، واستثمروا طاقاته، بما يدعم ويساند تجاربهم الشعرية وموقفهم الفكرية، وهنا تتبدى الوظيفة الأساسية والجمالية للتناص القرآني في الشعر في تأسيس لغة جديدة، لغة طافحة بحيوية دافقة، ومشحونة بطاقات عظيمة، تكسب النص الشعري رونقا جماليا، وثراء فنيا، وصدقا فوريا" [1] ، حيث يقول الشاعر:

فَإِنْ جَنَحْتَ إِلَيْهِ فَاتَّخِذْ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي الجَوِّ فَاعْتَزِلْ[2]

وهذا مأخوذ من قوله تعالى " وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِن اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِي نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَو سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ الله لَجَمَعَهُم عَلَى الهُدَى فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الجَاهِلِين" . [3]

وهذا ما يبين مكانة القرآن الكريم في نفس الشاعر، مما جعله يجسده في أسلوب فني رائع، من خلال الحكم والنصائح التي وردت في القصيدة.

4 . الموسيقى الشعرية:

للموسيقى أهمية بالغة في العمل الشعري، "فمن المعروف أن الموسيقى كانت ترتبط بالشعر منذ نشأته"[4] لذاك عرفوا الشعر بأنه الكلام الموزون المقفى بقصة، وقد قسمت إلى نوعين رئيسين هما: الموسيقى الخارجية والموسيقى الداخلية و ما يسمى بالإيقاع.

---

[1] إبراهيم مصطفى محمد الدهنون: التناص في شعر أبي العلاء المعري، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1،2011، ص119.

[2] الديوان: ص55.

[3] سورة الأنعام: الآية (35).

[4] شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة، ط10، 1978، ص41.

أ . الموسيقى الخارجية:

وهي النظام العروضي الذي يشتمل على الأوزان والقوافي، التي تمثل الركيزة الأساسية في عالم الشعر، بوصفها تشكلا في العمل الأدبي يعادل اللوحة الفنية للرسام، والتمثال للنحات، فمن خلاله يؤثر الأدب في النفوس وينتزع الإعجاب من القراء والسامعين .

1– الوزن: وهو من أهم عناصر الشكل و"أعظم أركان حد الشعر وأولاها به خصوصية، وهو مشتمل على القافية وجالب لها ضرورة" [1]، وقد كانت قصيدة "لامية العجم" من بحر "البسيط" الذي يتألف من أجزاء تتمثل في: مستفعلن فاعلن أربع مرات إذا كان تاما، كما طرأت عليها بعض الزحافات والعلل:

أَصَـــالَةُ الرَّأْيِ صَانَتْنِي عَنِ الخَطَل وَحِلْيَةُ الفَضْلِ زَانَتْنِي لَدَى العَطَل

0/// 0//0/0/ 0//0/ 0//0/ 0// 0/// 0//0/0/ 0//0/ 0//0/ 0//

متفعلن فاعلن مستفعلن فعلن متفعلن فاعلن مستفعلن فعلن

مستفعلن متفعلن / فاعلن فعلن

كما أن البيت الأول يحتوي علي التصريح وهو "ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه: تنقص بنقصه وتزيد بزيادته"[2]

وفي البيت الثاني يقول:

مَجْدِي أَخِيرًا،وَمَجْدِي أَوَّلاً شَرَعٌ وَالشَّمْسُ رَأْدُ الضُّحَى كَالشَّمْسِ فِي الطَّفَل [3]

0/// 0//0/0/ 0//0/ 0//0/0 / 0/// 0//0/0/ 0//0/ 0//0/0/

فعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن

---

[1] ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ج 1، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، لبنان، ط5، 1981، ص134.

[2] ابن رشيق: المرجع نفسه، ص173.

[3] الديوان: ص54.

ويقول الطغرائي:

حُلْوُ الفَاكِهَةِ مُرَّ العَيْشِ قَدْ مُزِجَتْ بِقَسْوَةِ البَأْسِ مِنْهُ رِقَّةُ الغَزَلِ [1]

0/// 0//0// 0//0/ 0//0// 0/// 0//0/0/ 0/// 0//0/0/

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن متفعلن فاعلن متفعلن فعلن

وفي هذا البيت العروض الأولى تامة مخبونة والضرب مخبون.

2- القافية: وهي مقطع صوتي تأتي في آخر كل بيت لتكون نهاية له، وقد اختلف الناس في تعريف القافية، "فقال الخليل: القافية من أخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه من قبله، مع حركة الحرف الذي قبل الساكن، والقافية ـ على هذا الذهب، وهو الصحيح ـ تكزن مرة بعض كلمة،ومرة كلمة، ومرة كلمتين"[2]

وليست القافية نهاية البيت الشعري فحسب، وإنما تحقق ذلك التكامل الموسيقي النغمي في البيت، وقد رويت القصيدة على حرف " اللام"، هذا الحرف المجهور، الذي يحقق درجة عالية من الوضوح الصوتي، لذاك كثر تواتره في قوافي الشعر، ونظرا لمزاياه في اللغة العربية، فقد أخذ مساحة كبيرة في دواوين كبار الشعراء أمثال امرئ القيس وحسان والمتنبي والمعري وغيرهم من عمالقة الشعر، وقد مد هذا الحرف الشاعر بفيض كبير من الألفاظ المناسبة للغرض الشعري من جهة، وللوزن العروضي من جهة أخرى، لأن "روي القصيدة يعني الحرف الذي يتكرر في آخر الأبيات، وتدور عليه القصيدة، وإليه يرجع الفضل في الاستمتاع بنغمتها الحلوة، وصوتها العذب، وترجيعها اللطيف، وإيقاعها المأنوس"[3] ، ولذلك اتخذ الطغرائي حرف اللام قافية لقصيدته التي سميت بهذا الحرف بـ "لامية العجم".

---

[1] الديوان: ص54.

[2] ابن رشيق: المرجع نفسه، ص151.

[3] مصطفى السيوفي: موسيقى الشعر العربي نغم وإيقاع، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، مصر، ط1، 2010، ص136.

ب . الموسيقى الداخلية (الإيقاع):

يمثل الإيقاع الداخلي مركزا هاما في مجال الشعر، فهو تنغيم يحدث عندما تتوالى بعض الحركات والحروف، "وبفضل الإيقاع الشعري يمكن للمتلقي في أثناء القراءة منح الصورة للقصيدة التي يراها منحوتة في الكلمة، والانسياق أجمع، جسدا وروحا، عقلا وفطرا"[1].

وقد امتازت القصيدة من الناحية الإيقاعية بجرس الألفاظ، الذي جاء منغما وواضحا، ثم تكرار ألفاظ بذاتها، أو حروف بعينها، فالتكرار "هو أن يكرر المتكلم الكلمة أو الكلمتين بلفظها ومعناها لتأكيد الوصف أو المدح أو غيره من الأغراض" [2]. كقول الطغرائي:

مَجْدِي أَخِيرًا،وَمَجْدِي أَوَّلاً شَرَعٌ وَالشَّمْسُ رَأْدُ الضُّحَى كَالشَّمْسِ فِي الطَّفَل [3]

وهنا كرر الشاعر لفظة "مجدي" و"الشمس"، والغرض منه هو التأكيد والثبات.

كما استخدم الترصيع وهو "عبرة عن مقابلة كل لفظة من صدر البيت، أو من الفقرة في النثر، بلفظة على وزنها ورويها وإعرابها.. غالبا في العجز من البيت أو الفقرة"[4], مثل قول الطغرائي:

فَلاَ صَدِيقَ إِلَيهِ مُشْتَكَى حُزْنِي وَلاَ أَنِيسَ إِلَيْه مُنْتَهَى جَذَلِي [5] .

وقوله:

تَبِيتُ نَارُ الهَوَى مِنْهُنَّ فِي لَغَدٍ حَرَّى ونَارُ القِرَى مِنْهُمْ عَلَى القِلَلِ[6].

وبهذا يعد الإيقاع أصدق تعبير عن الشعر، وأشد تأثيرا فيه، لما يحمله من طاقات موسيقية، تجعل من التجربة العشرية صورة فنية جمالية.

---

[1] عبد الرحمان تبرماسين: البنية الإيقاعية للقصيدة المعاصرة في الجزائر، در الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2003، ص91.

[2] صفي الدين الحلي: شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، ص134.

[3] الديوان: ص54.

[4] صفي الدين الحلي: المرجع نفسه، ص190.

[5] الديوان: ص54.

[6] الديوان: ص55.

الخاتمة

الخاتمة

بعد هذه الجولة القصيرة التي قادتنا إلى التعرف على بعض ملامح القصيدة العباسية، لا ندعي أننا أحطنا بكل صغيرة أو كبيرة في هذه الدراسة، ولكننا حاولنا قدر الإمكان أن نبرز بعض الجوانب الفكرية والفنية في قصيدة "لامية العجم" للطغرائي، وقد توصلنا إلى النتائج التي نجـ ـمها فيما يلي:

أولا: الأدب الحقيق هو ذلك الأدب الذي يحوي أحاسيس الإنسان ومشاعره، فيسموا بها إلى صياغة شعرية راقية.

ثانيا: الفن والفكر يشرفان على الإحساس والمشاعر، وينظمانها لتكون أحاسيس فياضة عند الشاعر الذي يسيطر ك السيطرة على العمل الأدبي.

ثالثا: إن الأخلاق والقيم الاجتماعية باعتبارها أحد المضامين الشعرية التي يحتويها العمل الأدبي، تفرض على الشاعر أن يختار لها ما يناسبها من ألفاظ وتراكيب، وأوزان وقوافي، وصور ورموز.

رابعا: إن الشاعر الطغرائي لم يقف مهزوما منكسراأمامنوائب الدهر، وآلام الاغتراب والوحدة، بل حاول مواجهة النكبات وتحمل الآلام بكل شجاعة وإرادة وطموح .

خامسا: كانت القصيدة عالما سحريا جميلا يموج بالحركة والألوان، حيث تجسدت فيه التجربة الشعرية بواسطة اللغة، والصورة والرمز والتناص، والموسيقى.

سادسا: تنوعت مصادر الصورة الفنية التي أبرزت ثقافة الشاعر، وجمال الطبيعة، فزادتها الصورة البلاغية رونقا وجمالا.

سابعا: كانت القافة عذبة سلسة مناسبة لإيقاع الحركة النفسية لدى الشاعر من أول بيت في القصيدة إلى آخر بيت لها.

الخاتمة

وهذه الخاتمة هي نهاية للبحث، ونقطة انطلاق لبحوث جديدة، ذلك أن الموضوع لا يزال فسيحا خصبا، لمن يبتغي العلم والمعرفة والاطلاع.

والحمد لله رب العلمين

نبذةعنحياةالشاعر:

هوالعميدفخرالكتابأبواسماعيلاالحسينبنعليبنعبدالصمدالملقبمؤيدالدينالأصبهاني،المنشىءالمعروفبالطغرائي،ك انمحترماكبيرالشأن،جليلاالقدر،غزيرالفضل،لطيفالطبع،فاقأهلعصرهبصنعةالنظموالنثر،خبيرابصناعةالكيميا ء.

عاشفيكنفالسلاجقةالذيناستولواعلىبغدادسنة

447هـ،بعددخولسلطانهمطغرلبكبغدادوقضائهعلىالبويهيين .

وسيطرسلاطينهمعلىرقعةواسعةمنأرضالخلافةالعباسيةقوامهاالعراقوبلادفارسوبعضبلادالشام.

ولدالطغرائيسنة

453هبأصبهانمنأسرةتنتميإلىأبيالأسودالدؤلي،كشفالأستاذأبواسماعيلبذكائهسرالكيمياءوفكرموزها،واستخ رجكنوزها،ولهفيهاتصانيفعدةمنها :

كتابجامعالأسراروتراكيبالأنوار،مفتاحالرحمةومصابيحالحكمةفيالكيمياء،وحقائقالإستشهاداتفيالكيمياء،و كتابالردعلىابنسينافيالكيمياء.

خدمالطغرائيالسلاطينالسلاجقة،وقددفعبهطموحهإلىبلاطالسلطانملكشاهوولدهالسلطانمحمودمنبعده،تول ىديوانالطغراءوتصدرالإنشاء،ولكنسرعانمانقمعليهرجالالدولةلمارأوامنطموحه،وخشوامنخطرهعليهمفيبلاطال سلطانفدسوالهعنده،فعزلهعنديوانالإنشاء،وكانيطمحفيالوزارة،وظلالشاعرفيبغدادىحدثنفسهبالعودةإلىوطنهأ صبهان،فكانتهاتهالفترةقدأوحتإليهبنظمالالامية سنة505 هـ.

ثمخدمالسلطانمسعودأخالسلطانمحمود،لكنهقتلفيالوقعةالتيكانتبينالأخوينسنة

515هـ،وأدىذلكإلىنهوضكلمنهمالملاقاةأخيهعلىرأسجيشكثيفمنأعوانه،فانهزمالسلطانمسعودوقبضعلىبع

ضرجالهوأسرآخرون،وكانالطغرائيبينمنوقعوافيأسرالسلطانمحمود،فكانتالفرصةمتاحةلأعدائهكييِنتقموامنه فأوحواإلىالسلطانبقتلهمتهمينهبالزندقةوالإلحاد.

وللطغرائيديوانشعرجيد،منمحاسنشعرهقصيدتهالمعروفةبلاميةالعجم،التينظمهابِبغدادسنة 505هيصفحالهويشكوزمانه.

لامِيَّةُ العَجَم

للطُّغْرَائِيّ

أصالةُ الرأي صانتْنِي عن الخَطَلِ ... وحِليةُ الفضلِ زانتني لدَى العَطَلِ

مجدي أخيراً ومجدِي أوّلاً شَرَعٌ ... والشمسُ رأْدَ الضُحَى كالشمسِ في الطَفَلِ

فيمَ الإقامُة بالزوراءِ لا سَكَني ... بها ولا ناقتي فيها ولا جَملي

نَاءٍ عن الأهلِ صِفْرُ الكفِّ منفردٌ ... كالسيفِ عُرِّيَ متناهُ من الخِللِ

فلا صديق إليه مشتكَى حزَنِي ... ولا أنيس إليه منتَهى جذلي

طالَ اغترابيَ حتى حنَّ راحلتي ... ورحُلها وقرَى العَسَّالةِ الذُّبلِ

وضَجَّ من لَغَبٍ نضوي وعجَّ لما ... ألقَى رِكابي ولجَّ الركبُ في عَذَلي

أُريدُ بسطةَ كَفٍ أستعينُ بها ... على قضاءِ حُقوقٍ للعُلَى قِبَلي

والدهرُ يعكِسُ آمالِي ويُقْنعُني ... من الغنيمةِ بعد الكَدِّ بالقَفَلِ

وذِي شَطاطٍ كصدرِ الرُّمْحِ معتقلٍ ... بمثلهِ غيرِ هيَّابٍ ولا وَكِلِ

حلوُ الفُكاهِةِ مُرُّ الجِدِّ قد مُزِجتْ ... بقسوةِ البأسِ فيه رِقَّةُ الغَزَلِ

طردتُ سرحَ الكرى عن وِرْدِ مُقْلتِه والليلُ أغرَى سوامَ النومِ بالمُقَلِ

والركبُ مِيلٌ على الأكوارِ من طَرِبٍ صاحٍ وآخرَ من خمر الكرى ثَمِلِ

فقلتُ أدعوكَ للجُلَّى لتنصُرَنِي وأنت تخذُلُني في الحادثِ الجَلَلِ

تنام عني وعينُ النجمِ ساهرةٌ وتستحيلُ وصِبغُ الليلِ لم يَحُلِ

فهل تُعِيُن على غَيٍّ هممتُ بهِ والغيُّ يزجُرُ أحيانًا عن الفَشَلِ

اني أُريدُ طروقَ الحَيِّ من إضَمٍ وقد حماهُ رُماةٌ من بني ثُعَلِ

يحمونَ بالبِيض والسُّمْرِ اللدانِ بهمْ سودَ الغدائرِ حُمْرَ الحَلْي والحُلَلِ

فسِرْ بنا في ذِمامِ الليلِ مُعتسفًا بنفحةِ الطِيب تَهدِينَا إلى الحِلَلِ

فالحبُّ حيثُ العِدَى والأُسدُ رابضَةٌ حول الكِنَاس لها غابٌ من الأَسَل

نؤم ناشئة بالجزع قد سقيت نصالها بمياه الغنج والكحل

قد زادَ طيبَ أحاديثِ الكرامِ بها ما بالكرائمِ من جُبنٍ ومن بخلِ

تبيتُ نارُ الهَوى منهنَّ في كَبِدٍ حرَّى ونار القِرى منهم على القُلَلِ

يقتُلنَ أنضاءَ حبٍّ لا حَراكَ بها وينحرونَ كرامَ الخيلِ والإِبِلِ

يُشفَى لديغُ العوالِي في بُيوتهِمُ بنهلةٍ من لذيذِ الخَمْرِ والعَسَلِ

لعلَّ إلمامةً بالجِزعِ ثانيةً يدِبُّ فيها نسيمُ البُرْءِ في عللِي

لا أكرهُ الطعنةَ النجلاءَ قد شُفِعَتْ برشقةٍ من نِبالِ الأعيُنِ النُّجُلِ

ولا أهابُ الصِفاح البِيض تُسعِدُني باللمحِ من خلل الأستار والكِلَلِ

ولا أخِلُّ بغِزلان تُغازِلُني ولو دهتني أسودُ الغِيل بالغيَلِ

حبُّ السلامةِ يَثْني همَّ صاحِبه عن المعالي ويُغرِي المرءَ بالكَسلِ

فإن جنحتَ إليه فاتَّخِذْ نَفَقًا في الأرضِ أو سلَّمًا في الجوِّ فاعتزلِ

ودَعْ غمارَ العُلى للمقديمن على ركوبِها واقتنِعْ منهن بالبَلَلِ

يرضَى الذليلُ بخفضِ العيشِ مَسْكنةً والعِزُّ عندَ رسيمِ الأينُقِ الذُلُلِ

فادرأْ بها في نحورِ البِيد جافلةً معارضاتٍ مثانى اللُّجمِ بالجُدُلِ

إن العُلَى حدَّثتِني وهي صادقةٌ في ما تُحدِّثُ أنَّ العزَّ في النُقَلِ

لو أنَّ في شرفِ المأوى بلوغَ مُنَىً لم تبرحِ الشمسُ يومًا دارةَ الحَمَلِ

أهبتُ بالحظِ لو ناديتُ مستمِعًا والحظُّ عنِّيَ بالجُهَّالِ في شُغُلِ

لعلَّهُ إنْ بَدا فضلي ونقصُهُمُ لعينهِ نامَ عنهمْ أو تنبَّهَ لي

أعلِّلُ النفس بالآمالِ أرقُبُها ما أضيقَ العيشَ لولا فسحةُ الأمَلِ

لم أرتضِ العيشَ والأيامُ مقبلةٌ فكيف أرضَى وقد ولَّتْ على عَجَلِ

غالى بنفسيَ عِرفاني بقيمتِها فصُنْتُها عن رخيصِ القَدْرِ مبتَذَلِ

وعادةُ السيفِ أن يُزْهَى بجوهرِه وليس يعملُ إلّا في يدَيْ بَطَلِ

ما كنتُ أُوثِرُ أن يمتدَّ بي زمني حتى أرى دولةَ الأوغادِ والسّفَلِ

تقدَّمتني أناسٌ كان شَوطُهُمُ وراءَ خطويَ لو أمشي على مَهَلِ

هذا جَزاءُ امرئٍ أقرانُه درَجُوا من قَبْلِهِ فتمنَّى فُسحةَ الأجلِ

فإنْ عَلانِيَ مَنْ دُونِي فلا عَجَبٌ لي أُسوةٌ بانحطاطِ الشمس عن زُحَلِ

فاصبرْ لها غيرَ محتالٍ ولا ضَجِرٍ في حادثِ الدهرِ ما يُغني عن الحِيَلِ

أعدى عدوِّكَ أدنى من وَثِقْتَ به فحاذرِ الناسَ واصحبهمْ على دَخَلِ

فإنّما رجلُ الدُّنيا وواحِدُها من لا يعوِّلُ في الدُّنيا على رَجُلِ

وحسنُ ظَنِّكَ بالأيام مَعْجَزَةٌ فظُنَّ شَرّاً وكنْ منها على وَجَلِ

غاضَ الوفاءُ وفاضَ الغدرُ وانفرجتْ مسافةُ الخُلْفِ بين القولِ والعَمَلِ

وشانَ صدقَك عند الناس كِذبُهمُ وهل يُطابَقُ معوَجٌّ بمعتَدِلِ

إن كان ينجعُ شيءٌ في ثباتِهم على العُهودِ فسبَقُ السيفِ للعَذَلِ

يا وارداً سؤْرَ عيشٍ كلُّه كَدَرٌ أنفقتَ صفوك في أيامِكَ الأُوَلِ

فيمَ اقتحامُكَ لُجَّ البحرِ تركَبُهُ وأنتَ تكفيك منه مصّةُ الوَشَلِ

مُلْكُ القناعةِ لا يُخْشَى عليه ولا يُحتاجُ فيه إِلى الأنصار والخَوَلِ

ترجو البَقاءَ بدارٍ لا ثَباتَ بها فهل سَمِعْتَ بظلٍّ غيرِ منتقلِ

ويا خبيراً على الأسرار مُطّلِعًا اصْمُتْ ففي الصَّمْتِ مَنْجاةٌ من الزَّلَلِ

قد رشَّحوك لأمرٍ إنْ فطِنتَ لهُ فاربأْ بنفسكَ أن ترعى مع الهَمَلِ

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم (رواية حفص عن عاصم)

1- المصادر

أ- الدواوين الشعرية:

1- الطغرائي (مؤيد الدين أبو اسماعيل) : الديوان، مطبعة الجوائب، ق سطنطيرية، ط 1، 1300.

2- المتنبي (أبو الطيب) : الديوان، شرح عبد الرحمن البرقوقي، راجعه وفهرسه : يوسف الشيخ محمد البقاعي، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

ب- مصادر تراثية:

1- الجاحظ (أبو عثمان عمرو ين بحر): البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هـ ارون، ج1، دار الجيل، بيروت،لبنان، ط3،2001 .

2- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر): الحيوان، تح : عبد السلام هارون، ج 3، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر،ط2، 1965.

3- جلال الدين السيوطي: شرح لامية العجم للطغرائي، تدقيق : أحمد علي حسن، مكتبة الآداب، القاهرة، (دط)، 1923.

4- ابن خلكان (شمس الدين أحمد): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، مج2، دار صادر، بيروت، 1977.

5- ابن رشيق (أبو علي الحسن): العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ج1، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، لبنان، ط5، 1981.

6- الصفدي (صلاح الدين خليل بن ايبك): الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأر ناؤوط وتركي مصطفى، ج 13، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 2001.

7- صفي الدين الحلي (عبد العزيز بن سرايا بن علي السنبسي الحلي): شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، تحقيق: نسيب نشاوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (دط)،(دت).

8- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة في علم البيان، علق حواشيه، محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (دط)، (دت).

9- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، (دط) ، 1991.

10- الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب): القاموس المحيط، تح: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط5. 1996.

11- ابن منظور (أبو الفضل محمد بن مكرم): لسان العرب، مج 1، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1990.

12- ياقوت الحموي: معجم الأدباء، تح: إحسان عباس، ج 3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1993.

2- المراجع العربية:

1 - أحمد محمد الحوفي: الحياة العربية خلال الشعر الجاهلي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ط5، 1972.

2 - أنطونيوس بطرس: الأدب تعريفه. أنواعه . مذاهبه ، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط1، 2011.

3 - إبراهيم مصطفى محمد الدهون: التناص في شعر أبي العلاء المعري، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2011.

4 - آمنة بلعلى: أثر الرمز في بنية القصيدة العربية المعاصرة (دراسة تطبيقية)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (دط)، 1995.

5 - جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 1992.

6 - جمال مباركي: التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، دار هومة، الجزائر، ط1، 2003.

7 - جودت الركابي: في الأدب الأندلسي، دار المعارف، مصر، ط4، 1975.

8 - دراسات في المجتمع العربي، تأليف: نخبة من أساتذة الجامعات العربية، اتحاد الجامعات العربية، الأمانة العامة، عمان، ط1، 1985.

9 - راوية عبد المنعم عباس: الحسن الجمالي وتاريخ الفن (دراسة في القيم الجمالية والفنية)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (دط) ،2005

10 - سامي يوسف أبو زيد: الأدب العباسي (الشعر)، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط1، 2011.

11 - سعدي صناوي: مدخل إلى علم اجتماع الأدب، در الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 1994.

12 - السعيد الورقي: لغة الشعر العربي الحديث ـ مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، (دط)، (دت).

13 -السيد أحمد الهاشمي: جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، ج 1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2008.

14 -شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الثاني، دار المعارف، مصر، ط 2، 1975.

15 -شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة، ط10، 1978.

16 -صالح مفقودة: الأبعاد الفكرية والفنية في القصائد السبع المعلقات، در الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2003.

17 -ضياء عبد الرزاق العاني: الصورة البدوية في ال شعر العباسي (334هـ -656 هـ)، دار دجلة ناشرون وموزعون، عمان، الأردن، ط1، 2010.

18 -عباس ثابت حمود: المعيار الأخلاقي في نقد الشعر العربي (من القرن الثالث حتى نهاية القرن السابع)، دار دجلة ناشرون وموزعون، عمان، الأردن، ط1، 2011.

19 -عبد الحميد هيمة: الصورة الفنية في الخطاب الشعري الجزائري، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (دط)، 2005.

20 -عبد الرحمن تبرماسين: البنية الإيقاعية للقصيدة المعاصرة في الجزائر، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2003.

21 -عبد الفتاح نافع: الشعر العباسي قضايا وظواهر، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008.

22 -عبد الفتاح نافع: الصورة في شعر بشار بن برد، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، (دط)، 1983.

23 - عبد القادر الرباعي: الصورة الفنية في شعر أبي تمام، جامعة اليرموك الأدبية واللغوية، اربد، الأردن، ط1، 1980.

24 - عثمان حشلاف: الرمز والدلالة في شعر المغرب العربي المعاصر (فترة الإستقلال)، منشورات التبيين الجاحظية، سلسلة الدراسات، الجزائر، (دط)، 2000.

25 - علي البطل: الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري (دراسة في أصولها وتطورها)، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1981.

26 - كاميليا عبد الفتاح: الشعر العربي القديم (دراسة نقدية لظاهرة الاغتراب)، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، 2008.

27 - محمد زغلول سلام: الأدب في عصر العباسيين - الجزء الثاني (من بداية القرن الرابع إلى نهايته)، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط1، 1999.

28 - محمد سعيد فرح ومصطفى خلف عبد الجواد: علم اجتماع الأدب، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط1، 2009.

29 - محمد سهيل طقوش: تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط5، 2005.

30 - محمد عبد العزيز الموافي: شعر الفكرة في العصر العباسي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 2007.

31 - محمد عبد المنعم خفاجي: الحياة الأدبية في العصر العباسي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2004.

32 - محمد مندور: الأدب وفنونه، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط 6، 2008.

33 - مصطفى السيوفي: موسيقى الشعر العربي نغم وايقاع، الدار الدولية للإستثمارات الثقافية، القاهرة، مصر، ط1، 2010.

34 - مصطفى ناصف: الصورة الأدبية، طبعة مكتبة مصر، القاهرة، ط1، 1958.

35 - ميشال عاصي: الفن والأدب (بحث جمالي في الأنواع والمدارس الأدبية والفنية)، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1970.

36 - ناصر لوحيشي: الرمز في الشعر العربي، علم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1،2011.

37 - هدى علي جواد الشمري: الأخلاق في السنة النبوية، مراجعة وتقديم: سعدون محمود الساموك، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، (دط)، 2008.

38 - يحياوي الطاهر: البعد الفني والفكري عند الشاعر مصطفى الغماري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (دط)، 1983.

39 -يحي الجبوري: الحنين والغربة في الشعر العربي (الحنين إلى الأوطان)، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008.

40 - يوسف أبو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية، دار المسيرة، عمان، ط1، 2007.

3- المراجع المترجمة:

1 - كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ترجمة: محمود فهمي حجازي، ج 3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993.

4- الرسائل الجامعية:

1 - نسرين حويمي: دلالة الرمز في أدب الأطفال كليلة ودمنة أنموذجا، مذكرة لنيل درجة الماستر في الآداب واللغة العربية تخصص أدب حديث ومعاصر، إشراف: د/علي بخوش، قسم الأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2011-2012 (مخطوط).

2 - نسيمة قط: جماليات القصيدة الغزلية في شعر عبد الله بن الحداد، مذكرة نيل شهادة الماجستير في الأدب المغربي والأندلسي، إشراف: د/ جاب الله أحمد، قسم الأدب العربي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2009 (مخطوط).

5- المجلات والدوريات:

1 - مجلة المخبر (أبحاث في اللغة والأدب الجزائري) , العدد الثالث 2006 , منشورات قسم الأدب العربي, كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية, جامعة محمد خيضر بسكرة , شركة دار الهدى للطبع والنشر والتوزيع, عين مليلة, الجزائر.

6- المواقع الالكترونية:

1 - شرح لامية العجم لأبي البقاء ع بدالله بن الحسين ال عكبري (538-616هـ)، دراسة وتحقيق: محمود محمد العامودي، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد العاشر، العدد الأول، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.

WWW.iugaza.edu.ps/ar/periodical/articles/volume10-issue1.Human6.plf.18/04/2013-16:05

2 - محمود الربداوي: قراءة في لاميات الأمم، مجلة التراث العربي.

WWW.Reafnet-gov.sy/Bookspzoject/turoth/83-84.20/04/2013.10:20

3 - م.م دليم كاظم سهيل: الكواكب والنجوم ودلالتها في الشعر الأموي (جرير والأخطل أنموذجا)، رئاسة جامعة بغداد.

www.iasjnet/iasj?Func=Fulltextald=43377.22/04/2013.09:05

الخاتمة

بعد هذه الجولة القصيرة التي قادتنا إلى التعرف على بعض ملامح القصيدة العباسية، لا ندعي أننا أحطنا بكل صغيرة أو كبيرة في هذه الدراسة، ولكننا حاولنا قدر الإمكان أن نبرز بعض الجوانب الفكرية والفنية في قصيدة "لامية العجم" للطغرائي، وقد توصلنا إلى النتائج التي نهلها فيما يأتي:

أولا: الأدب الحقيق هو ذلك الأدب الذي يحوي أحاسيس الإنسان ومشاعره، فيسموا بها إلى صياغة شعرية راقية.

ثانيا: الفن والفكر يشرفان على الإحساس والمشاعر، وينظمانها لتكون أحاسيس فياضة عند الشاعر الذي يسيطر ك السيطرة على العمل الأدبي .

ثالثا: إن الأخلاق والقيم الاجتماعية باعتبارها أحد المضامين الشعرية التي يحتويها العمل الأدبي، تفرض على الشاعر أن يختار لها ما يناسبها من ألفاظ وتراكيب، وأوزان وقوافي، وصور ورموز.

رابعا: إن الشاعر الطغرائي لم بكتف بمعانة الدهر، وآلام الاغتراب والوحدة، بل صارع القدر بكل شجاعة وإرادة وطموح .

خامسا: كانت القصيدة عالما سحريا جميلا يموج بالحركة والألوان، حيث تجسدت فيه التجربة الشعرية بواسطة اللغة، والصورة والرمز والتناص، والموسيقى.

سادسا: تنوعت مصادر الصورة الفنية التي أبرزت ثقافة الشاعر، وجمال الطبيعة، فزادتها الصورة البلاغية رونقا وجمالا.

سابعا: كانت القافة عذبة سلسة مناسبة لإيقاع الحركة النفسية لدى الشاعر من أول بيت في القصيدة إلى آخر بيت لها.

وهذه الخاتمة هي نهاية للبحث، ونقطة انطلاق لبحوث جديدة، ذلك أن الموضوع لا يزال فسيحا خصبا، لمن يبتغي العلم والمعرفة والإطلاع.

والحمد لله رب العلمين

فهـرس المحتـويـات

مقدمـة :	أ -د
تمهيد:	6- 10
الفصـل الأول:	11- 27
البعد الأخلاقي	13
البعد الاجتماعي	17
الاغتراب في القصيدة	20
الإرادة والشجاعة	22
الفصـل الثاني:	28- 50
1-اللغة الشعرية	29
2- الصورة الفنية	30
3- الرمز الفني	41
4- التناص	46
5- الموسيقى الشعرية:	47
أ -الموسيقى الخارجية	48
ب - الموسيقى الداخلية (الإيقاع)	50
الخاتمة	51- 53
الملحق:	54- 62
نبذة عن حياة الشاعر	56
قصيدة لامية العجم	58
قائمة المصادر والمراجع	63-70
فهرس الموضوعات	71